

2 me Année, No. 39

Lundi-2-4-1934

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩ بالقاهرة

تليفون رقم ٤٢٩٩٢ / ٤٠٥٣٠١

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الاقطار العربية
١٠٠	فى سائر المالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

السنة الثانية « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ ذى الحجة سنة ١٣٥٢ — ٢ ابريل سنة ١٩٣٤ » العدد ٣٩

فهرس العدد

صفحة

٥٢١ المصري الغريب فى مصر : لدكتور طه حسين
٥٢٣ كاظم باشا الحسيني : أحمد حسن الزيات
٥٢٤ رسالة الربيع : الأستاذ عبد الحميد العبادي
٥٢٥ صفحة من حياة تشلينى : الدكتور محمد عوض محمد
٥٢٨ ازمة الديمقراطية : الأستاذ محمد عبد الله عنان
٥٣٠ مضى عام : الآنسه سهير القلماوى
٥٣١ التطور وروح الدين : الأستاذ محمود الشرقاوى
٥٣٣ الاسماعيلية : محمد قدري لطفى
٥٣٥ تولستوى : شهدي عطيه الشافعى
٥٣٨ الربيع الباكر (قصيدة) : الاستاذ محمود الخفيف
٥٣٩ آذار اغنية الربيع (قصيدة) : أنور العطار
٥٤١ آب الربيع : حسين شوقى
٥٤١ بيير كورني : الدكتور حسن صادق
٥٤٦ البؤساء : م
٥٤٧ ماء جديد : الدكتور احمد زكى
٥٤٩ المجنونة (قصة) الاستاذ على الطنطاوي
٥٥٢ شهر بالغردقة : الاستاذ الدمرداش محمد
٥٥٤ النثر الفني (كتاب) : الاستاذ أحمد أمين
٥٥٦ شهر زاد (رواية) عبد الرحمن صدقى
٥٥٩ اتحاد الممثلين : ناقد الرسالة الفني

المصرى الغريب فى مصر!

للدكتور طه حسين

هو مختار رحمه الله . فقد كان فى حياته مرآة صادقة كل الصدق لنفس مصر الخالدة التى لاتحد ولاتحصر . كنت تجد فى هذه المرآة صورا صادقة لنفس مصر القديمة ، ولنفس مصر الاسلامية ، ولنفس مصر هذه التى يكونها هذا الجيل ، ولآمال مصر ومثلها العليا بعد أن يتقدم الزمان ويتقدم ، وترث أجيال أخرى ارض الوطن عن هذه الاجيال التى تضطرب فيها الآن

كان مختار هذه المرآة الصافية المجلوة التى تنعكس فيها حياة مصر على اختلاف ازمنتها وما يحيط بها من الظروف . فكان من هذه الناحية أشد أبناء مصر اتصالا بها وقربا منها وتمثيلا لها . ولكنه على ذلك كان غريبا فى مصر أثناء هذه الأسابيع التى ختمت مساء الثلاثاء حين ختمت حياة مختار . أقبل من أوربا فلم تكد الصحف تتحدث عن إقباله ، ولم يكد يخف للقائه من أصدقائه الا نفر قليلون . وأقام فى مصر مريضا مكدودا يلح عليه الالم والسقم فلا يكاد يذكره من المصريين الذين كانوا يعجبون به ويحشدون له ويهتفون باسمه ويعتزون بمجده ويرفعون رؤوسهم بآثاره الا نفر يحصون ، ولعلك إن أحصيتهم لم تبلغ بهم العشرين ، وأخشى الا تبلغ بهم أقل من هذا العدد اليسير . ثم اشتد عليه المرض وألجأه الى المستشفى فلم تكد الصحف تتحدث عن ذلك الا حديثا يسيرا جدا . وخف أصدقاء مختار الى المستشفى يسألون عن صديقهم

ويريدون لقاءه فحال المرض بينهم وبين اللقاء . وأعلن اليهم ان الحجاب قد التى بينهم وبين هذا الصديق وان كانت الحياة ماتزال تتردد فى جسمه النحيل . ثم أصبح الناس يوم الاربعاء واذا نعى مختار يملأ القاهرة ويقع من نفوس أهلها موقع الألم اللاذع والحزن الممض . ثم أمسى الناس يوم الاربعاء ، واذا جماعة من خاصة المصريين وقليل من الاجانب عند محطة القاهرة يستقبلون جثمان مختار ، ثم يسعون معه الى المسجد . ثم يتفرقون ويمضى مختار الى مستقره الاخير ، ومن حوله جماعة قل فى إحصائهم ماشئت فلن تستطيع أن تبلغ بهم نصف المئة . ثم يصل مختار الى قبره ، ثم يهبط مختار الى هذا القبر ، وهؤلاء الاصدقاء قائمون قد ملكهم وجوم عميق لايقطعه الا هذا الصوت الرفيق المزعج ، صوت المساحى والمعاول وهى تسوى القبر عليه ، وتقطع مابقى بينه وبين الحياة من أسباب ، والا هذا النداء الذى يتردد بين حين وحين عنيفا يتكلف الرفق ، طالبا الماء الذى يحتاج اليه فى تسوية هذا القبر ، وإقامة هذا السد بين صاحبه وبين الحياة ، والا هذا اللغط الذى يؤذى الاسماع ، وكان من حقه أن يكون موسيقى عذبة رقيقة تأسو القلوب الجريحة وتهدىء النفوس الثائرة ، وترد الجازعين اليائسين الى ماينبغى لهم من الاذعان لقضاء الله والرضى بحكم الله . وهو لغط هؤلاء القراء الذين يلوون ألسنتهم بالكتاب ، وقد كره الله أن يلوى الناس ألسنتهم بالكتاب ، لأنه كتاب مبين مستقيم لاعوج فيه ولا التواء . وانما فيه هداية للعقول وشفاء لما فى الصدور . ثم ينقطع كل صوت ، ويتفرق هؤلاء الاصدقاء يحملون فى قلوبهم مايحملون من حب ووجد ، ومن أسى ولوعة ، يحملون هذا كله لينغمسوا به فى هذه الحياة التى تنتظرهم على خطوات قليلة قصيرة من مستقر الموتى .

وكذلك انتهت قصة مختار مع انتهاء النهار يوم الاربعاء ، وكذلك أسدل ستار الموت على حياة مختار فى الوقت الذى أسدل فيه ظلام الليل على حياة الاحياء . وما أكثر ماتنتهى قصص الناس فى كل يوم ، بل فى كل ساعة ، بل فى كل لحظة . وما أكثر ما يسدل ستار الموت حين تشرق الشمس أو حين تغيب ، فلا نحس ذلك ولا نلتفت اليه ، لأن الذين تختطفهم المنية أو تحصدهم فى جميع الاوقات قوم مجهولون لم تميزهم الظروف أو لم تميزهم أنفسهم ، فهم يمضون دون أن يحسهم أحد كما يقبلون دون أن يحسهم أحد . ولكن مختارا كان غريبا حقا فى آخر حياته ، وكان غريبا حقا فى أول موته ، وأى عجب فى هذا ؟ لقد آثر حياة الغربة منذ أعوام ، فكان لا يزور وطنه الا لماما ، ولقد تعود الجفوة من مواطنيه . وأكبر الظن أن ذلك كان يؤذيه ، ولكنه كان أكرم على نفسه من أن يشكو أو يظهر الالم . ولقد سمعنا أنه احتمل المرض شجاعا ، واستقبل الموت شجاعا ، لم يدركه جزع ولا فرق . ولو أنه رأى بعد أن مات كيف ودعه مواطنوه لما أثر فيه ذلك أكثر مما أثرت فيه جفوة مواطنيه قبل أن يموت . ولعله كان يألم لذلك فى قرارة قلبه الممتاز ، ثم لايظهر من ألمه شيئا كما كان يفعل أثناء الحياة ، انما نحن الذين ينبغى لهم أن يألموا أشد الألم ، وأن يحزنوا أشد الحزن ، وأن يستشعروا شيئا غير قليل من اللوعة والحسرة وخيبة الأمل حين نرى هذا العقوق ، وحين نقدر أثره فى نفس صديقنا الراحل العزيز . فقد كنا ومازلنا نتحدث بأن مختاراً هو الذى رد إلى مصر بعض حظها من الجد الفنى ، وكنا وما زلنا نتحدث بأن مختاراً قد مكن مصر من أن تعرب عن نفسها وعما تجد من الألم والأمل بلسان جديد لم تكن تستطيع أن تصطنعه من قبل ، وهو لسان الفن . وكنا وما زلنا نتحدث بأن مختاراً قد أنطق مصر بهذه اللغة التى يفهمها الناس جميعاً وهى لغة الجمال ، لغة الفن ، بعد أن كانت لاتنطق الا بهذه اللغة التى لا يفهمها الا جيل بعينه من الناس ، وهى لغة الكلام . وكنا وما زلنا نتحدث بأن مختاراً قد جدد فى مصر سنة كانت قد درست ومضت عليها قرون وقرون . وهى سنة الفن ، وكنا ومازلنا نتحدث بأن مختاراً قد لفت الاوروبيين الى مصر ، وأقام لهم الدليل على أن مطالبتها بالاستقلال لم تكن عبثا ولا لغواً ، وانما كانت نتيجة لحياة جديدة ، ونشاط جديد ، وقد لفت مختار الأوروبيين الى ذلك فى أشد الأوقات ملاءمة ، فى وقت الثورة السياسية . وكنا وما زلنا نتحدث بأن مختاراً على حداثة عهده بالفن كان أسبق المصريين الى إعجاب أوروبا ، ألم يعرض آثاره فى باريس . ؟ ألم تتحدث صحف الفن عن مختار قبل أن تتحدث صحف الأدب عن كتابنا وشعرائنا ؟ ألم تستقر أثمار مختار فى متاحف باريس قبل أن تستقر آثار كتابنا وشعرائنا فى مكاتبها ؟ كنا نتحدث بهذا كله ، وكنا وما زلنا نتحدث بأن مختاراً قد رد الى المصريين شيئاً غير قليل من الثقة بأنفسهم ، والأمل فى مستقبلهم ، والاطمئنان إلى قدرتهم على الحياة الممتازة الراقية . كنا وما زلنا نتحدث بهذا وبأكثر من هذا ، ومع ذلك فقد قضى مختار آخر حياته شريداً أو كالشريد . وقد قضى مختار آخر أيامه فى مصر منسيا أو كالمنسى ؛ وقد عبرت جنازة مختار مدينة القاهرة يطيف بها جماعة من الخاصة ليس غير !! نستغفر الله بل مرت جنازة مختار أمام التمثال الذى صنعه بيديه كما تمر أمام أى شىء لم يظهر على التمثال ما يدل على الحزن

أوما يدل على الاكتئاب ، أو عما يدل على الشكر وعرفان الجميل .
وعبرت جنازة مختار مدينة القاهرة تجهلها الحكومة المصرية أو تكاد تجهلها ، لم يمش فى جنازة مختار ولم يقم على قبر مختار وزير العلوم والفنون . ولم يلق أحد على قبر مختار كلمة الوداع ، وانما كان الصمت يشيعه ، وكان الصمت يواريه التراب ، وكان الصمت يودعه حينما تفرق من حوله الأصدقاء . ولو قد مات مختار فى بلد غير مصر لكان لموته شأن آخر . ولو قد كان مختار فرنسيا او انجليزيا أو ايطاليا وأدى لبلده مثل ماأدى لمصر لقامت الدولة له بشيء آخر غير الاهمال والاعراض . إذن لكانت جنازته رسمية تنفق عليها الدولة ، ويمشى فيها رجال الدولة ، ويخطب فيها كبار الدولة ، ولكن مختارا نشأ فى مصر ، وعمل لمصر ، ومات فى مصر فحسبه ماأتيح له يوم الاربعاء من توديع الذين كانوا من اصدقائه وأحبائه ليس غير

ولا ننس أن رئيس الوزراء قد تفضل فندب من مثله فى جنازة مختار . وهذا ، ويا لسخرية الاقدار ، كثير جدا ينبغى أن يشكر لرئيس الوزراء . فقد ينبغى الا ننسى أن مختارا لم يكن من انصار السياسة الرسمية ، ولا من الذين يستمتعون بعطفها وحبها ورضاها ، فكثير أن يتفضل رئيس الوزراء فيندب من يمثله فى جنازة هذا المعارض وان كان صاحب فن ، وان كان قد انفق حياته كلها لمصر لا لحزب من الاحزاب ولا لجماعة من الجماعات . لا أكذب المصريين أن لنا فى مثل هذه الاحداث والخطوب مواقف لاتشرفنا ولا تلائم ما نحب لانفسنا من الكرامة ، ولا تشجع العاملين على أن يعملوا . ومن الذى نسى موت الشاعرين العظيمين حافظ وشوقى وموقف السياسة منهما . ذهب المعارضون بحافظ ، واستأثر المؤيدون بشوقى ، ثم ذهب المعارضون بمختار منذ أيام ، وضحى بالادب والفن فى سبيل الاهواء والشهوات ، وظهر المصريون فى مظهر العقوق الذى لايليق بالشعب الكريم . لا أكذب المصريين إنهم فى حاجة الى ان يرفعوا انفسهم امام انفسهم وأمام غيرهم عن هذه المنزلة المهينة ، انهم فى حاجة الى أن يرفعوا الادب والعلم والفن عن اعراض الحياة ، واغراض الخصومة السياسية ، لأن فى الحياة أشياء ارق واطهر واكرم من السياسة وخصوماتها ، والأدب والعلم والفن أول هـــذه الأشياء .

(البقية على صفحة ٥٥٨)

كاظم باشا الحسينى

بقلم احمد حسن الزيات

حنانيك يا رب !! أفى الساعة التى يضطرب فيها البحر ويحار المركب ويبعد المرفأ ، يموت الربان ويختفى القطب ؟! وفى الساعة التى يستحرُّ فيه النضال بين حق العرب وباطل اليهود ، وبين ايمان فلسطين وطغيان الانجليز ، يسقط القائد ويهبط العَلم ؟! وفى كل يوم تتجاوب أصداء الأسى فى أقطار العروبة على بطولة تُودى ، أو زعامة تخلو ، أو نبوغ ينطفىء ، أو ألفة تفترق ، أو وحدة تَشِتُّ ؟!

لا بأس بالالم يجمع شتى القلوب على الاحساس المتحد ، وبالخطب يَرُوض رخو المغامز على المقاومة الشديدة ، وبالموت يبعث ضارع النفوس الى الحياة العزيزة ، أما المدامع التى تُجدب المشاعر ، والشدائد التى توهن العزائم ، والمنايا التى تقبر الأمانى ، فأرزاء من الشر المحض والعذاب الخالص كابدتها الأمة العربية وا أسفاه فى مصارع سعد وفيصل وكاظم !

* * *

روّع العربَ فى عيد التضحية والتابية مصاب فلسطين فى حياة نهضتها وسر وحدتها وروح ثورتها المغفور له موسى كاظم باشا الحسينى ، فضجّت المآذن بالنعى ، وفاضت الصحف بالرثاء ، واضطربت الألسن بالأسف ، ونال الناسَ من الجزع الطبيعى ماينالهم حين يرون الركن يميل ، أو النظام (١) ينقطع ، أو الدليل يغيب ؛ وتساءلوا عن مصير فلسطين المعذبة بعد شيخها الذى أخلصت جوهره السنون ، وأحكمت رأيه السن ، وشيّعت قلبه العقيدة ، وأعلت صوته النزاهة ، وقدست شخصه التضحية ، فجهل الحزبية ، وأنكر الطائفية ، وسل أحقاد الصدور ، وأذهب تنافس الأُسَر ، وعبّأ الأمة المغزوّة فى دار أمنها ، ثم قادها زهاء خمسة عشر عاما فى المفاوضات بلندن ، وفى المظاهرات والمؤتمرات بفلسطين ، لايقطعه يأس ، ولايردعه وعيد ،

(١) النظام هو الخيط الذى يجمع حبات العقد

رسالة الربيع

للاستاذ عبد الحميد العبادى

لو تمثل هذا الربيع لكان إنسانا ، ولكان شابا رائع الشباب ، مشرق الطلعة ، حلو الشمائل ، معطاء بكلتا اليدين ، يملأ العيون والقلوب مهابة وجمالا . أفلا يرى القارئ تصديق هذا التصوير فيما يأخذه الحس والشعور من الطبيعة فى أيامنا هذه : من اعتدال جو وانبعاث شمس ، وايراق شجر ، وتفتح زهر ، وترنم طير ، وتتابع خير ؟ أفلا يرى أن كل مظاهر الطبيعة قد غدت ولسان حالها يصيح بمن يمر : ألا ترانى فتفهم حكمة الخلق العجيب ؟

ولكن وارحمتاه للناس ! إنهم عن هذه الدعوة الكريمة فى شغل شاغل ، « وكأى من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » لقد شغلوا بالعرض عن الجوهر ، وبالسفساف الحقير عن الجميل الجليل . انهم يوشكون أن يميت قلوبهم ويغول نفوسهم الصفق بالأسواق

رحم الله أسلافنا الأقدمين وآباءنا الأولين . لقد كانوا أقرب منا الى الطبيعة ، وأبر بهذا الربيع وأحسن استقبالا له . فالمصريون القدماء على شدة تفكيرهم فى الحياة الآخرة ، لم يهملوا الأخذ بأسباب التمتع بهذه الحياة الدنيا . كانوا كلفين بالطبيعة ، وحياة الطبيعة . وهل شىء أبهج للخاطر وأسر للقلب من الطبيعة وحياة الطبيعة ؟ لقد فتنوا بنهرهم المتدفق الوقور فقدسوه وعبدوه ، وكلفوا بالزهر حتى لقد اتخذوا منه رمزا وشعاراً لملكهم السياسى ، فكانت الزنبقة رمز مملكتهم الجنوبية ، وزهرة النيلوفر رمز مملكتهم الشمالية . وصاغوا تيجان الاعمدة التى تنهض بعمائرهم على مثال برعمة البشنين ، والبيلوفر ، ورؤوس النخيل . وكانوا يحتفلون لمقدم الربيع احتفالا بقيت لنا منه أثارة نلحظها فى عيدنا الطبيعى الوحيد المعروف « بشم النسيم » .

وكان الفرس القدماء من أشد خلق الله حبا للزهر والماء والجو الطلق ، لذلك جعلوا « النيروز » الذى هو اول الربيع أعظم أعيادهم ، وأسبغوا عليه هالة من التقديس والاجلال ، فزعموا ان الله فرغ فيه من خلق الخلائق ، وانه يقسم فيه السعادة لأهل الارض ، ولذلك سموه « يوم الرجاء » ، ولفرط شغفهم بالربيع كانوا اذا هجم الشتاء وألح على بلادهم المطر والبرد والثلج اعتاضوا عن مناظر الربيع الطبيعية بصور لها قد وشيت بها بسطهم وسجادهم الشهيرة بحيث اذا جلسوا عليها للطرب والشراب خيل اليهم انهم فى روضة معطار من رياض الربيع . وإن من يطالع الأدب الفارسى جملة يجده عبقا بعبير الورد والزنبق والبنفسج والياسمين وغيرها من فنون الرياحين

أما العرب فربيع بلادهم هو حياتها على الحقيقة دون المجاز ، فاذا أقبل عرفوه بتألق البرق وجلجلة الرعد ، بالغيوث الهاطلة والأودية السائلة ، فاذا كان ذلك اخضرت المراعى واعشوشبت الوهاد والنجاد ، ونعم بآثار ذلك كله الانسان والحيوان . وكان ملوك بنى أمية جريا على مقتضى غريزتهم البدوية إذا أقبل الربيع برزوا الى بادية الشام فقضوا شهوره فى قصور تخذوها لذلك خاصة . ولا تزال آثار تلك القصور ماثلة الى اليوم . فلما اختلط العرب بالفرس أخذوا عنهم عادة الاحتفال بالنيروز الفارسى . فكان عمال بنى أمية

البقية على صفحة ٥٥٨

ولا يخزله طمع ، ولا يقعد به عبء السنين التسعين عن قيادة الشباب الى صراع حام دائم بين حق أعزل وباطل مسلح ! !

لو كانت قضية فلسطين قضية رياسة وسيادة وغلب لكان فى كل مكان سبيل الى الخلاف ودليل الى الفرقة ، ولكنها قضية الحياة والموت ؛ وللحياة طريق تهدى اليها الفطرة ، وقافلة تدل عليها الطبيعة ؛ فالأمر من هذه الناحية مختلف بين فلسطين وبين العراق ومصر

ولا ريب أن المستقبل الذى يتمثل لشباب فلسطين فى أبشع صوره سيذهلهم عن نعرة العصبية ، ويلهيهم عن شهوة الخصومة ، فلا يرون الا عدوا واحدا هو الواغل المتقحم ، ولا يستمعون الا قولا واحدا هو قول زعيمهم الخالد وهو يجود بنفسه :

« . . . قضية العرب فى فلسطين أمانة فى ذمتكم فجاهدوا فى سبيلها ، فان فعلتم ارحمونى فى قبرى »

عزى الله الامة العربية أجمل العزاء عن فقيدها الغالى ، وأحيا فى خواطر أبنائها النبلاء مثله العالى ، وجعل رضوانه عليه ثواب ما بذل فى سبيلها من ماله وجهده ونفسه ؟

الزيات

الرجوع إلى الباطل
خير من التمادى فى الحق . . . !

صفحة من حياة تشلينى

للدكتور محمد عوض محمد

« بنفنيتو تشليني Benenuto Cellini من كبار رجال الفن الايطالى فى عهد النهضة ، ولد فى مدينة فلورنسا عام ١٥٠٠ وتوفى بها عام ١٥٧١ وقد نبغ أولا فى صياغة الذهب والفضة صورا وتماثيل غاية فى الدقة والجمال . وبعد ذلك استطاع النبوغ فى صناعة التماثيل من الحجر والبرنز ، وقد عاش فى روما وباريس حيث دعاه فرانسوا الأول ليعمل عنده ، وقضى الشطر الأخير من حياته فى وطنه فلورنسا ، وله مؤلفات فى الفنون التى مارسها ، وله كتاب ضمنه مذكرات عن حياته الحافلة بالحوادث وعلى احدى هذه الحوادث قد بنيت القصة التالية »

الرجوع الى الباطل ، خير من التمادى فى الحق . . .

ذلك هو الدرس القاسى الذى ألقاه القضاء الساخر والقدر الجائر على فنان فلورنسا العظيم بنفنيتو تشلينى ، فى يوم بدأ ضاحكا وانتهى عابسا متجهما . . .

ذهب الفنان الى الحجرات الخاصة فى قصر دوق فلورنسا ، ليشرف على الاعمال الفنية التى كلف القيام بها : من تزويق وتنميق فى الجدران والأثاث ، وتحلية بالذهب والفضة ، ومن نقوش بديعة وتماثيل بارزة . . . ولم يكن فى فلورنسا كلها فكر أبرع ، ولا يد أقدر من فكر بنفنيتو تشلينى و يده ، ذلك الرجل الذى لم يكفه أن نبغ فى صياغة الذهب والفضة والاحجار الكريمة ، فأتى فى هذا الضرب من الفنون بالرائع الساحر ، بل أراد أن ينافس المثالين والنحاتين فى صناعة التماثيل الضخام ، ينحتها من الصخر أو يصبها من البرنز . فكان له ما أراد ، وبات نابغة زمانه فى الصناعتين الدقيقة والجليلة .

وكان يحلو لدوق فلورنسا أن يمر به وهو يشتغل وعماله فى الجناح الخاص بقصر الأمير ، فيتحدث اليه عن الفن وعن رجاله وأنصاره . ويناقشه فى رأى ارتآه الفنان أو خطة أراد رسمها .

وكان بنفنيتو حلو النادرة ، سريع البادرة ، فى شىء من غرور النوابغ ، وغطرسة الواثق بنفسه .

وفى اليوم الذى نحن فى صدده ، جاء الدوق فتحدث اليه قليلا ، ثم عاد لينظر فى بعض أمور الدولة . . . وسألت الدوقة عن تشلينى ، فقيل لها إنه جالس وحده يشرف على الأعمال التى يقوم بها فى جناح الأمير الخاص ، فلم تمض لحظات حتى كانت الدوقة جالسة تتحدث الى تشلينى وتطرى ماقام به من اعمال الزينة فى قصر الامير ، ثم أرته عقدا من اللؤلؤ يشتمل على ثمانين لؤلؤة وقالت : أيعجبك هذا العقد ؟ قال : إنه لعقد جميل يامولاتى ! قالت فانى أريد أن يشتريه الدوق لى . فلا بد لك أن تقول له ماشئت فى مدحه والاشادة بذكره ، وأن تبالغ فى اطرائه ما استطعت الى ذلك سبيلا

كان تشلينى يظن أن الدوقة قد اشترت العقد وقضى الأمر . ولهذا بادر إلى مدحه واطرائه . أما الآن — واللآلىء لم تشتر بعد — فقد رأى واجباً عليه أن يطلعها على ما يراه فيها من عيوب ، ولم يكن فى فلورنسا كلها أقدر منه على نقد الجواهر واللآلىء ، ولا أبصر بمواضع العيوب منها .

فقال : مولاتى ! حسبت العقد ملكا لك فبادرت الى مدحه . فأما وأنت تهمين بشرائه ، فانى أرى لزاما على أن أطلعك على ما به من عيوب بينة تحط من قدر هذه اللآلىء . ومن أجلها لا أستطيع أن أنصحك بالشراء .

قالت : لقد رضى التاجر صاحب هذه البضاعة أن يبيعنا اياها بستة آلاف دينار . ولو لم تكن بها تلك العيوب الطفيفة التى تذكرها لما رضى بأقل من اثنى عشر ألفا .

فجعل تشلينى يبذل النصح الثمين . ويقول للسيدة الكريمة إن هذه اللآلىء لو كانت خالية من كل عيب ، وبالغة أقصى غاية الكمال ، لما جاز لأحد أن يدفع فيها أكثر من خمسة آلاف . فأما وقد اشتملت على كل هذه النقائص فانها لن تساوى نصف هذه القيمة . وفوق هذا كله ، فان اللآلىء ليست كالأحجار الكريمة نفاسة وقيمة . إنما القيم النفيس هو الماس ، والياقوت ، والزبرجد ، والعقيق ، والفيروج ، هذه هى الاحجار الكريمة التى تزداد على مدى السنين رونقا وبهاء . أما اللآلىء فليست سوى قطع من محار البحر ، وعظام السمك ، لاتلبث أن تفقد بهجتها ورونقها بعد سنين قلائل !

لكن الأميرة كانت صلبة كصلابة الماس ، وقد وطنت النفس على حيازة هذا العقد . وفى رأسها عينا امرأة قد بهرهما لمعان اللؤلؤ . فأوحتا الى قلب المرأة الذى بين جوانحها ، فاذا القلب قد اشتهى ذلك العقد ، واتخذ لحيازته إرادة لاتنثنى ، ورغبة لاتقبل الجدل ، ورأى تشليني أنه غدا بين نارين ، فاما أن يغضب الأميرة او يخدع الدوق . . .

فقالت له : هون عليك الأمر ، فانا الضمينة بأن الدوق لن يمسك بسوء ، بل وستنال أجرك منى يوم تغدو هذه اللآلىء لى . وقد وطنت النفس على احرازها . فاذهب بها الآن الى الدوق . وأطنب فى مدحها ما استطعت .

* * *

كان من أكبر مايفخر به تشليني الصراحة والأمانة . ولقد طالما جنت عليه الأولى ، وأفقدته الثانية شيئا كثيرا من المكسب والمغنم ؛ ومن قبل ماجنت عليه صراحته يوم كان فى بلاط فرنسوا الأول ملك فرنسا . فرأى نفسه فجأة وقد غضبت عليه مادام «ديتامب» معشوقة الملك ، وأصبحت له عدوا عنيدا ، لاتجدى مع عداوتها صداقة أحد ، حتى ولا صداقة الملك نفسه .. فلم يلبث ان اضطر الى مغادرة أكبر ملوك العالم وأغناهم وأسخاهم . والآن أيغضب الدوقة العظيمة ، دوقة فلورنسا ! من أجل كلمة تريد أن يقولها ، فيرتكب فى فلورنسا - وطنه العزيز - ما ارتكبه فى فرنسا من قبل ؟ ويفقد ماناله فى قصر الدوق من حظوة ومن مقام رفيع ؟

تناول العقد ، ومشى به الى الدوق - وقد عزم على ان يقول كلمات قلائل يمدح بها العقد ، ولعل الدوق ان يغفر له هذه الخطيئة من أجل الأميرة . . فلما رآه الدوق قال - ماالذى جاء بك يابنفنيتو ؟

قال - عقد جميل من اللؤلؤ أردت ان أنصح مولاى بشرائه فانى ما رأيت عمرى ثمانين لؤلؤة كريمة قد نظمت فى عقد بمثل هذا الحسن الباهر ، وهذا التنسيق البديع

قال الدوق - ماأنا بالذى يشترى لآلىء مثل هذه ، فلقد رأيتها من قبل ، فلم يرقنى منظرها ولا حسنها . وما هى بالنادرة كما تزعم ولا النفيسة !

قال - عفوا مولاى ! انها وايم الحق درر غوال ، ولاأعرف أن عينا رأت عقدا منظوما كهذا العقد ، حوى دررا كهذه الدرر !

قال الدوق - والله يابنفنيتو ! لو أن هذه الدرر من النفاسة بحيث تذكر لماترددت فى شرائها ؛ فاننى فى حاجة ابدا لاحراز هذه الجواهر الثمينة ، حبا فى إحرازها ، وارضاء للأميرة زوجى ، ولكى تكون هذه الكنوز ذخرا لأبنائنا وبناتنا ، وأنا أعلم أنك أبصر الناس بهذه الامور ، وأن عينك لن تخطىء فى نقدها وتقديرها . كذلك أعلم انك رزقت الصراحة فى القول ، والامانة فى النصح ، فأصدقنى الخبر ، ولاتخش بأسا ! هل تنصح لى حقا بشرائها ؟

أصغى تشليني إلى كلمات مولاه ، فكأنما سقط عن كاهله عبء ثقيل . لقد كان يمدح تلك اللآلىء بلسانه ويلعنها بقلبه . وكان يعلم وهو يطريها أن هذا المدح يذرى به كفنان له رأيه السديد فى تقدير الجواهر ، ويذرى به كرجل اتخذ الامانة والصدق شعارا . لهذا انكشفت عنه الغمة حين سمع الدوق يناشده الصدق والصراحة ، وقال : إنى لأخشى يامولاى - إن أنا صدقتك الخبر عن هذه اللآلىء - أن يشتد على غضب مولاتى الدوقة ، وتصبح لى ألد الخصوم ، فأضطر الى مغادرة فلورنسا - وطنى المحبوب - مرة أخرى . واليوم وقد تقدمت بى السن فان مغادرة الوطن على شىء عسير . فأستحلف مولاى ان يحمينى سخطها ؛ اذ الم يضمن لى رضاها! ولقد وعدتنى مائتى دينار إن أنا استطعت إقناع مولاى بشراء تلك اللآلىء . وقد كان خوفى من غضبها أكبر من طمعى فى جائزتها . أما الآن وقد ناشدنى مولاى الصدق ، فانى لايسعنى إلا أن أخلص فى النصح : إن شراء هذه اللآلىء بذلك الثمن صفقة خاسرة . فانها لا تساوى أكثر من ألفى دينار ؛ فاذا كان لابد من شرائها فلا يدفع الامير فوق هذا القدر درهما واحدا .

قال الدوق - كن مطمئنا ! ان الدوقة لن تعلم شيئا مما قلته لى الآن ، ولن يمسك منها أذى . وسأذكر لك أبدا هذا الاخلاص فى النصيحة !

* * *

عند ذلك دخلت الأميرة ؛ وقد ظنت أن قد مضى من الزمن مايكفى لاقناع زوجها بشراء العقد . وان قد آن لها ان تضم صوتها الى صوت الفنان فقالت :

— عسى ان يكون مولاى الدوق قد راقه هذا العقد النفيس فانه قلما وقعت عين على عقد يضاهيه حسنا ورونقا ، وماأشد رغبتى فى أقتنائه وادخاره !

— لست أرغب فى شرائه .

— لماذا يضن على أميرى الكريم بهذا العقد الثمين ؟

ـ لأنى لا أريد أن تذهب أموالى هباء .

ـ أيظن مولاى أن أمواله تذهب هباء ، حين يقتنى بها درراً غالية كهذه الدرر التى قل أن يكون لها فى العالم نظير ؟ كيف وإن بنفنيتو نفسه — الذى يضع فيه مولاى بحق كل ثقته — قد رآها فبهرته وسحرته ، وقال ان الأمير لو دفع فى هذه اللآلى ستة آلاف دينار لكانت صفقة رابحة .

قال الدوق : إن بنفنيتو لم يقل شيئا من هذا . بل لقد ذكر لى الساعة انها لآلىء خسيسة ؟ وأن شراءها مضيعة للمال . أنظرى أنت اليها ! انها ليست مستديرة ، وليست متساوية فى أحجامها . وكثير منها قديم فقد الرونق والحسن . تأملى فى هذه ... وهذه ... كلا ... إنى لن أرمى بأموالى من أجل هذه السفاسف .

***

دهش تشلينى حين سمع الدوق يخاطب زوجه بهذه الصراحة ويفشى لها سره ، ولم تمض لحظات على ائتمانه عليه .

ونظرت اليه الدوقة نظرات تلتهب فيها نار الغيظ . ثم خرجت من الحجرة وهى تهز رأسها هزة الثائر المتوعد . فاستولى الرعب على الفنان وجعلت الحجرة تدور أمام عينيه . وكاد أن يغشى عليه .

وعاد فى ذلك المساء الى داره مهموما منكس الرأس ... وقدهم أن يعد العدة لمغادرة فلورنسا ليلتمس الرزق فى غيرها من المدائن ... ولكنه رأى أعماله التى أخذ ينشئها ، وعز عليه أن يتركها لتهمل وتنسى . أو ليتناولها أعداؤه بالمسخ والتشويه . وعز عليه خاصة ذلك التمثال الضخم الذى أوشك أن يتمه ، والذى يمثل فرساوس قابضا على رأس الميدوزا — وهو يعد اليوم من أبدع مخلفات عهد النهضة — أجل ، عز عليه أن يترك أعماله هذه التى يوشك أن يتمها . ويوشك أن يزداد بها صرح الفن علواً وشموخا .

لو أن هذا الحادث جرى له فى شبابه لبادر الى مغادرة المدينة فى ساعته تلك ، أما اليوم وقد نيف على الخمسين فقد رأى أن يتريث قليلا ، لعل الدوق أن يستطيع حمايته ونصره ، وأن يصلح ما بينه وبين الأميرة .

فى اليوم التالى غدا تشلينى الى قصر الدوق لعله أن يلقاه كسابق عادته . ولكنه لم يكد يبلغ القصر ، حتى لقيه أعوان الدوقة ، واضطروه لأن يعود أدراجه بعد أن ناله منهم شىء كثير من الاهانة والعنت . واضطر الفنان أن يلزم داره أياما لا يكاد يجرؤ على مغادرتها . ومن قبل كان الدوق يأمر حجابه بأن يفتحوا له أبواب القصر فى أى وقت شاء ، وألا يحولوا بينه وبين الأمير . أما اليوم فان الدوقة قد أمرت بعكس هذا . وأمرها النافذ ..!

***

وزار تشلينى أحد الأصدقاء ، فأنبأه بأن الدوق قد اشترى ذلك العقد ! أجل ، لقد دفع فيه ستة آلاف من الدنانير الذهبية راضياً طائعاً .. ذلك أن الدوقة حين أعيتها الحيل . أمسكت العقد بيدها ، وجثت بين يدى زوجها ، وتناثرت من جفونها درر غوال كانت أكثر بهاء وأشد وقعاً فى نفس الأمير من درر ذلك العقد ! وقالت له وهى تنتحب ، إنها اذا حرمت ذلك العقد فقد حرمت كل سعادة ، وقد كتب عليها الشقاء والذل مدى الحياة . وسيعلم الناس جميعا أن الأمير زوجها العزيز ، وسيد أمراء ايطاليا ، الذى تفتديه بروحها ، قد بخل عليها بعقد من اللؤلؤ . وانها لن تطيق الحياة متى علم الناس بما هى فيه من هوان وبلاء ! .. عند ذلك أمر الدوق — لساعته — بشراء تلك اللآلى ... ولم يكد يفعل حتى رقأ دمع الأميرة وأبرقت أساريرها ، وابتسمت عن لؤلؤ آخر ، كان فيه للملك خير عوض عن اللؤلؤ الذى اشتراه .

***

ومضى تشلينى الى القصر ، وهو لا يكاد يصدق ما سمعته أذناه . فرآه الدوق مقبلا ، فأمر بأن يؤتى به الى حجرته . فلما مثل بين يديه ، قال له من غير تلطف ولا مجاملة :

ويحك يابنفنيتو أيها الشقى ! كيف بلغت بك الجرأة أن تغضب الدوقة مولاتك ، التى طالما أيدتك ونصرتك : فجعلتنى أعرض عن شراء تلك اللآلى النفيسة ! يالك من شقى لا يعرف معنى للوفاء والاخلاص ! إذهب أيها التعس الآن الى حجرة الأميرة ، واجث على قدميك بين يديها . واسألها الصفح والمغفرة عن جريرتك . وارجع الى الحق أيها الجاهل . فان الرجوع الى الحق فضيلة ... وعساها تصفح عنك وتعفو عن خطيئتك !

***

وفتح تشلينى عينين ملؤهما الدهشة والحيرة

ـ مولاى أى حق ... !

ـ لا تنبس أيها الشقى بكلمة . واذهب الساعة فافعل ما أمرتك به.

ومضى تشلينى مطرقا برأسه يمشى فى بطء شديد ليلتمس من مولاته الصفح . لان الرجوع الى الحق فضيلة ... !؟

أزمة الديموقراطيـــة

للأستاذ محمد عبد الله عنان

هل آن لشمس الديموقراطية أن تغرب؟ هذا سؤال يطرح منذ أعوام في معرض البحث والجدل، ولكنه يغدو اليوم أشد خطورة، ويشغل جميع الأذهان والضمائر الحرة: فالنظم الديموقراطيـــة تتحطم تباعا في أمم كانت بالامس أشد الأمم تعلقا بالنظم والمثل الديموقراطية، والحكومات الدستورية تختفي تباعا من الميدان لتقوم مكانها حكومات طغيان شامل، والحريات السياسية والاجتماعية القديمة تخنق وتختفي لتستأثر بها وتتصرف فيها أحزاب وجماعات سياسية جديدة تقوم مبادؤها ودعوتها على القوة القاهرة، والديموقراطية تهتز اليوم حيثما استطاعت أن تبقى وتتسرب اليها عوامل الوهن والفساد: فهل يكون ذلك ايذانا بان صرح الديموقراطية غدا على وشك الانهيار، وأن الديموقراطية تسير الى مصرعها النهائي في المستقبل القريب؟ هذا ما يتنبأ به أصحاب النظريات والمثل الجديدة القائمة على الطغيان الشامل، والقومية المتطرفة، وانكار النظم البرلمانية، وخضوع الفرد المطلق، والايمان بالقوة المادية؛ أو بعبارة أخرى هذا ما يقوله دعاة الفاشستية والوطنية الاشتراكية الالمانية

والحقيقة أن الديموقراطية تجوز أخطر أزمة عرفت في تاريخها. ويجب قبل كل شيء أن نعرف الديموقراطية بايجاز. فهي في الاصل كلمة يونانية معناها «قوة الشعب»، وهي مبدأ سياسي اجتماعي يقوم على المساواة التامة بين الافراد في الحقوق والواجبات، وغايتها الجوهرية أن يشترك الشعب كله في ادارة الدولة أو بعبارة أخرى أن يحكم نفسه بنفسه: والنظم البرلمانية أظهر وسائلها لتحقيق هذه الغاية. والديموقراطية الاوربية الحديثة ترجع الى الثورة الفرنسية. ولكنها لم تستطع ثباتا في البداية، واستمرت نحو نصف قرن تناضل في سبيل مثلها، ولم تتوطد وتزدهر الا في أواخر القرن التاسع عشر، بيد أنها لم تتقدم الا في غرب أوربا. أما في شرق أوربا ووسطها، فقد كانت الملوكيات القديمة في روسيا وتركيا والنمسا والمجر وألمانيا تطاردها وتخمد مثلها بكل ما وسعت. ثم كانت الحرب الكبرى، فانهارت الملوكيات القـــديمة الطاغية، وقويت المثل والمبادىء الديموقراطية، وظفرت الديموقراطية، باقامة نظمها في الجمهوريات الجديدة الفتية في روسيا، والمانيا، والنمسا، وتشيكوسلوفاكيا، وبولونيا. أما اليوم فماذا بقي لها من هذا الظفر؟ لقد كان ظفر الديموقراطية في روسيا كالبرق الخلب، وكان اسما بلا مسمى فلم تمض أشهر قلائل حتى قام طغيان البلشفية مكان الطغيان القيصري القديم، يخمد جميع الآراء والحريات الخصيمة؛ ولم تثبت الديموقراطية طويلا في بولونيا، حيث وثبت العسكرية وفرضت سلطانها على الجمهورية الجديدة، واتخذت من الحياة النيابية ستارا تملي من ورائه ارادتها. أما في المانيا والنمسا فقد استطال هـــذا الظفر أعواما طويلة؛ واستطاعت الديموقراطية أن تنشىء الجمهورية الالمانية مكان الامبراطورية القديمة، وأن توطد دعائم الحريات الديموقراطية، وأن تقود مصاير الشعب الالماني خلال الازمات والخطوب التي تعاقبت من جراء الحرب والهزيمة مدى أربعة عشر عاما، ولكنها سقطت أخيرا صرعى الاشتراكية الوطنية والطغيان الهتلري، ومهدت لمصرعها بخلافها الداخلي؛ ومنذ اسابيع فقط لقيت مصرعها في النمسا بعد أن اقامت فيها الجمهورية، وتولت حكمها وقيادتها في أعوامها الاولى، ولبثت خمسة عشر عاما قوية مرهوبة الجانب. واما في ايطاليا التي تمتعت منـــذ وحدتها بالحريات الديموقراطية في ظل الملوكية الدستورية، فقد غاضت الديموقراطية عقب الحرب بضربة سريعة، وقامت فيها الفاشستية منذ اثني عشر عاما تخمد كل الحقوق والحريات القديمة، وتتحدى الديموقراطية في العالم كله، وتنوه بقواها السياسية والاجتماعية، وتسير في ميادين السياسة والاقتصاد من ظفر الى ظفر، وتقدم القدوة والارشاد لكل نزعة أو حركة طغيان مماثلة.

فالديموقراطية تجوز في الواقع مرحلة عصيبة ربما كانت نذير انحلالها ومصرعها النهائي. بل إنها في البلاد التي ما زالت فيها راسخة وطيدة الدعائم تتخبط في غمار من الصعاب؛ وتفسح باخطائها وعثراتها لخصومها مجال الاتهام والانتقاص. ففي فرنسا، مهد الديموقراطية الحديثة، تشتد الحملة على النظم الديموقراطية والحياة النيابية لما كشفت عنه الفضائح المالية الاخيرة (فضائح ستافسكي) من فساد شنيع يتغلغل في صميم الحياة العامة؛ ويصم الحكومات الحزبية والهيئات النيابية بتهم الرشوة واختلاس أموال الشعب، ويصم القضاء والبوليس بفساد الذمة والتستر على الجناة؛ ويقول خصوم الديموقراطية من

الملكيين والفاشست ؛ إن مثل هذه الجرائم لايمكن أن ترتكب بمثل هذه الجرأة وهذا الاغراق الا فى ظل الحياة السياسية الحزبية وفى ظل نظام تكسب فيه النيابة عن الشعب بقوة المال والنفوذ، وغدت فكرة الدكتاتورية من الحلول المحتملة التى تطرح اليوم فى فرنسا كوسيلة لانتشالها من هذه الفوضى، وغدت هيبة الديموقراطية هدفا لاشد الحملات . وفى انكلترا أعرق الأمم الاوربية فى النظم والحريات الديموقراطية ، يهمس اليوم بكلمة الدكتاتورية ، وتلقى المبادىء الفاشستية قبولا من الشباب الانكليزى ، ويوجد اليوم فى انكلترا بالفعل حزب فاشستى صغير لم يحرز بعد أهمية سياسية ، ولكنه يعتبر رمزا حيا لأثر الفاشستية فى انكلترا . ولم تحرز الديموقراطية فى الاعوام الاخيرة الى جانب هذه الأزمات والخطوب أى ظفر أو تقدم حقيقى الا فى اسبانيا ، حيث سقطت الملوكية القديمة ، لتقوم مكانها جمهورية جديدة مشبعة بابعد المثل والامانى الديموقراطية؛ بيد أن الجمهورية الفتية مازالت تعانى صعابا وأزمات تكاد تصدع بناءها

فما ذا يكون مصير الديموقراطية ازاء هذه الخطوب ؟ يقول أنصار الفاشستية والطغيان إن الديموقراطية لا تستحق الحياة لأنها برهنت منذ الحرب انها ليست أهلا لحكم الشعوب فى ظروفها واتجاهاتها الجديدة ، وانها دفعت الحريات السياسية والاجتماعية إلى حدود الفوضى ؛ وسخرت الشعوب لاهوائها ؛ وان الحياة البرلمانية أصبحت مظهراً عقيما من مظاهر التمثيل النيابى ، ولا تعبر عن ارادة الشعب الحقيقية ، وأنها تغدو فى كثير من الاحيان عقبة فى سبيل الاداة الحكومية تمنعها من العمل المجدى . وقد يجد أنصار الفاشستية فى تاريخ الحكومات الديموقراطية ما بعد الحرب كثيراً مما يؤيد هذه التهم ، ولكنهم يخلطون دائما بين المبادىء الديموقراطية وبين الصور المختلفة التى تطبق بها هذه المبادىء . فهذه المطاعن قد تلحق بعض النظم ووسائل الحكم التى تقوم على الفكرة الديموقراطية ، ولكنها لا يصح أن تنسب الى الفكرة ذاتها ، واذا كانت الاحزاب والحكومات الديموقراطية قد ارتكبت كثيراً من الأخطاء فى ألمانيا وايطاليا ، واذا كانت توصم اليوم فى فرنسا بكثير من العيوب والتهم ، فانها ما زالت فى انكلترا والسويد مثلا تعمل فى ظل الملوكية بقوة وبراعة وتدلل على أنها أمثل طرق الحكم المستنير العادل . والفاشستية لا يمكن أن تزعم انها بريئة من العيوب ، فهى أولا أبعد صور الحكم عن تحقيق العدالة وصون الحرية ، لانها تقوم على القوة المادية ولا تعف عن ارتكاب أشنع وسائل العنف تحقيقا لسياستها ، ويكفى أن نشير فى ذلك الى ما ارتكبته الفاشستية الايطالية فى أعوامها الأول من الجرائم والاعتداءات المثيرة ؛ وما استعملته من وسائل البطش والارغام قبل أن تثبت اقدامها وتفرض ارادتها على الشعب الايطالى ، ويكفى أن نستعرض ما ارتكبته الاشتراكية الوطنية الألمانية مذ ظفرت بالحكم من ضروب السفك والعنف والانتهاك والمطاردات السياسية والدينية الوضيعة ، لتفرض مبادئها وارادتها على الشعب الالمانى . وهذه الوسائل الهمجية التى تلجأ اليها الفاشستية دائما فى تحقيق سيادتها حيثما استطاعت أن تشق طريقها لا يمكن أن ترتفع من الوجهة المعنوية الى مستوى المثل الرفيعة والوسائل السلمية الحرة التى تقوم عليها الديموقراطية وتعمل فى ظلها . ومما يلاحظ أن الفاشستية شعورا منها بهذا الضعف المعنوى تحاول أحيانا أن تستتر وراء بعض المظاهر الديموقراطية ، فنرى الفاشستية الايطالية مثلا تحتفظ بالبرلمان حينا وتبقى على بعض صور الحياة النيابية ، وتستخدم فكرة النقابات ؛ ونرى الفاشستية الالمانية (الاشتراكية الوطنية) تجرى الانتخابات وتتظاهر باستفتاء الشعب فى الحصول على تأييد أغلبيته الساحقة لتحقق بعض أغراضها السياسية . وقد تتفوق الفاشستية على الديموقراطية أحيانا بالعمل السريع وتحقيق بعض المظاهر والغايات السياسية والاقتصادية التى عجزت الديموقراطية عن تحقيقها ، كما حدث فى ايطاليا مثلا حيث حققت الفاشستية الايطالية كثيراً من الاغراض والنتائج العملية القيمة ، ولكن هذا النجاح المادى يحقق فى معظم الاحيان على حساب الحريات والحقوق الشعبية ، وليست وسائله مما يحمد دائما .

لقد انتصرت القوى الرجعية على الديموقراطية فى إيطاليا والمانيا والنمسا ؛ وقد تنتصر فى غيرها غدا ، وربما بقيت الديموقراطية أعواما أخرى تعانى هذا الضعف والانحلال . ولكن هذه الفورات الرجعية لا تقوم على مثل راسخة ، ولا تستمد بقاءها الامن القوة المادية ، وهى فى الغالب وليدة ظروف وعوامل مؤقتة ، فمتى تطورت هذه الظروف والعوامل فقدت اسباب الحياة . والتاريخ يعيد اليوم نفسه فى اوربا القديمة . ففى اوائل القرن الماضى ، على أثر انتهاء الحروب البونابارتية ، اجتمعت كلمة العروش الاوربية القوية على سحق جميع النزعات والحركات الحرة ، والتمست لذلك عقد محالفة عرفت بالمحالفة المقدسة (أواخر سنة ١٨١٥) عقدت بين قياصرة روسيا والمانيا والنمسا ، واتخذت فى المبدإ صبغة ميثاق

للعمل على تأييد السلام ، وإقامة العدل ، وبث الاخاء ، ولكنها نظمت وعقدت فى الواقع للتعاون على إخماد الحركات الحرة التى أخذت تضطرم من غرب اوربا الى شرقها ، وتبدو فى مطالبات عنيفة بالحريات الدستورية . وكانت الحروب البونابارتية قد شغلت اوربا حينا عن التفكير السياسى وخبت الريح الحرة التى اثارتها مبادىء الثورة الفرنسية ، ولكن الجيوش الفرنسية الغازية كانت تحمل أينما حلت طرفا من هذه المبادىء ، فلما هدأت العاصفة التى أثارها نابوليون ، عادت الافكار الحرة والامانى الدستورية تشق سبيلها فى معظم الامم الاوربية ، ومن ثم كان اجتماع العروش القديمة على مقاومتها وسحقها . وقد انضمت معظم الدول الاوربية الى المعاهدة المقدسة ، وطبقت غير بعيد فى المانيا والنمسا حيث قيدت حرية الصحافة ، وفرضت الرقابة الرسمية على الجامعات ، ولكن هذه الجبهة القوية التى نظمها الطغيان لمقاومة الحريات الشعبية لم تغن شيئا ، ولم يمض ربع قرن آخر حتى كانت معظم الدول الاوربية تضطرم بالثورات والفورات التحريرية ، وكانت القوى الرجعية ترغم على بذل المنح الدستورية المختلفة . وقد استمر هذا الصراع بين الطغيان والديموقراطية طوال القرن التاسع عشر ، وانتهى بظفر الحريات فى معظم الامم الاوربية .

ونحن اليوم نشهد هذا الصراع كرة أخرى . ولكنه يتخذ اليوم صورة جديدة . فالقوى الرجعية لا تستند اليوم الى العروش والحق الالهى ، ولكنها تتشح باثواب شعبية ، فالفاشستية تزعم فى ايطاليا والمانيا أنها تقوم بارادة الشعب وتسير طبقا لها ؛ وتخشى ان تبدو مجردة فى ثوبها الحقيقى ؛ وهذا دليل على أنها رغم ظفرها المؤقت مازالت تخشى قوة الديموقراطية الخفية . ونحن مازلنا نؤمن بمستقبل الديموقراطية وقوتها . واذا كانت الديموقراطية قد استطاعت ان تصمد طوال القرن الماضى لجميع القوى الرجعية التى هاجمتها وقاومتها مع أنها لم تكن قد استكملت يومئذ كل نموها وقوتها ، فانها اليوم وقد رسخت مبادؤها ومثلها فى جميع الامم الاوربية واقامت لها صروحا قوية شامخة ، وأضحت قوام الحياة العامة فى كل بلد ، لا يمكن ان تستكين طويلا الى عدوان الطغيان ، ولابد أن تنهض غير بعيد من عثرتها ، وتستعيد كل قوتها وسلطانها ، يوم تنفض عنها غبار هذه المفاسد الشكلية التى اسبغت ريبا على هيبتها ؛ ويوم تنبذ ذلك الخلاف الذى فت فى قواها ومكن لخصومها . ؟

محمد عبد الله عنان

مضى عام

للآنسة سهير القلماوى

تسارعت الأيام فى سيرها الآلى المنظم السريع . الأيام الطويلة المملة ، والأيام القصيرة الطائرة ، كلها غرقت فى بحر الفناء على ألا تعود . وانقضى العام فاذا الذكرى تتهادى حتى تقف أمامى ، ثم تمد يدها لتأتى بأجزائها المنزوية فى مخيلتى تستكمل بها صورتها المؤلمة . فاذا الصورة هى هى كما كانت منذ عام ، واذا الألم لها وإن خففه سلطان الزمان الذى لا يقهر ، إلا أنه ما زال لاذعاً مذهلا عن كل شىء سواه .

كان صباح العيد منذ عام ، فاجتمع أفراد الأسرة كلهم فى بيت الوالدين ، اجتمع الأخوات والأخوة ، والأزواج والأولاد والأخوال والأعمام ، واصطفوا جميعا على مائدة الافطار ، وكلهم وجوههم مشرقة مستبشرة . وكانت هى بينهم ـ ومتى لم تكن بينهم ولو بجسدها ـ ولكنها كانت تفكر وتقدر . تضحك معهم وتبتسم لابتسامهم ، ويشرق وجهها لاشراق وجوههم ؛ ولكن نفسها كانت تتألم يائسة ، وعقلها مرتبك ، يقدر ويفكر ، ويقرر وينثنى عما قرر ، ثم يعود فيقرر ثانية ، فاذا القرار هو هو . وتقلب الاحتمالات والمنتظرات ، تستعرض فى خيالها الساعات المقبلة ، وقد نظمتها حسبما ظنت أن ستكون . ماذا لو أنفذت قرارها ؟ ثم تعود فتنثنى عنه من جديد ؛ لم يرقها ما قدرت ، ولكن أى مخلص غيره ؟ وأخيراً ، لا بد من القرار الأول ، لا بد منه .

لم يلاحظ عليها الحضور شيئا ، فقد كانت الحركة التى تأتيها فى فى رواحها ومجيئها لخدمتهم ـ لأن أمور المنزل أصبحت كلها لها بعد زواج أختها ـ التى كانت تساعدها كثيراً على اخفاء ما بها . وانتهى الافطار فانتشروا فى الدار ، وأصوات الاطفال المرحة الصاخبة تملأ أسماعهم . وانتهزت هى الفرصة وصعدت الى حجرتها . خافت أن تعود الى التفكير فترتبك من جديد ، ولقد سئمت الحيرة ولا بد أن تنجو منها ، لقد كانت تلهب رأسها .

وصعدت وراءها أختها تناديها ، ونادتها فاذا بها قادمة نحوها

تصرخ وتتأوه ، ووجهها أغبر قاتم ، وجسمها يتلوى من الألم ، ويداها على معدتها تضغطان بعصبية وتقلص ، فصاحت أختها ما بك ! ما بك ؟ وضمتها الى صدرها تسندها من الوقوع فوقعتا على الدرج معا . وهزتها ثانية ما بك ؟ فتمتمت بصعوبة مريرة متألمة « شربت سما » .

كلمتان هما آخر ما نطقت . كلمتان قلبتا العيد مأتما ، كلمتان حولتا شابة مليئة بالحياة والنشاط الى جثة هامدة لا تحس ولا تشعر . واجتمع الاهل والصحب والخلان حول ضحية العيد ، منهم من أسعفه البكاء فبكى ، ومنهم من حيرته الفاجعة فذرب لسانه باسبابها وصاح يستلهم الجثة جوابا عما حير فكره وصدع قلبه . ومنهم من وجم يستعرض فى وحدته صورا تتتالى فلا تشعر ارتباطا فى تتاليها ولا أثرا لمرورها فى مخيلته . وأخيرا منهم من اختل توازن أعصابه وفقد القدرة على حكمها ، فراح لسانه ينطق بكل ما يمر فى خاطره المضطرب المحموم

وفى الصباح جاءتها صديقاتها بورودهم البيضاء وكأنهم آتون لعرسها ، ثم أودعوها حفرة ضيقة وعادوا جميعا وكل منهم يظن أنه فى حلم مروع يتلمس اليقظة منه فلا يصحو . ومتى كانت الحياة الا رؤى تتتابع ! رؤى نراها افرادا فنختلف فى حقيقتها ، ورؤى نراها جماعة فنجمع على حقيقتها ؟

أودعوها حفرتها ، وأودعوا اسرها معها ، ولكن متى دخل لسان الناس افواههم ؟ متى استراح لسان الناس فى أشد المواقف استدعاء للاستراحة ؟ هل احترموا جلال الموت ؟ هل خشعوا امام فجيعة مريرة للأسرة بأجمعها ؟ كلا ! لم يخلق اللسان الا للكلام ، فاذا سكت لم يحقق الغرض من خلقه ، واذا لم يحقق جزء من المخلوقات الغرض من خلقه فقد اختل نظام الكون كله !

وفى العيد تجتمع الاسرة لا على مائدة الافطار وانما حول قبرها فى مدينة الاموات الهادئة ، وهناك تناديها فلا تجيب كما كانت تفعل منذ عام ، وهناك تبكيها فلا تشاركها شعورها كما شاركتهم الابتسامة والفرح منذ عام ، وانما ترفرف روحها من عليائها رائحة غادية لا ترتبك ولا تضطرب ، فليس لديها ما تخفيه وقد حجبها الفناء بأستاره الكثيفة المظللة .

سهير القلماوى

التطور وروح الدين

للاستاذ محمود الشرقاوى

« انا وجدنا الشارع قاصدا لصالح العباد . والاحكام العادية تدور معه حيثما دار . فترى الشيء الواحد يمنع فى حال لا تكون فيه مصلحة . فاذا كان فيه مصلحة جاز »

« الشاطبى »

لكل دين من الأديان روح تسيطر على مجموعه ، وتتمشى فى أصوله وفروعه . وتميز دعوته وتربط أحكامه جميعا ، وتساوق بين أجزائه وتوجه تيارها الى غاية خاصة ،

والاسلام يمتاز من جميع الأديان بأنه دين عام خالد لا دين بعده ولا رسالة . فهو لذلك قد جمع الله فيه كل ما تحتاج إليه البشرية من الأصول لجميع ظروفها وأحوالها وأزمانها وأماكنها ، والحياة البشرية متغيرة سريعة التحول والانقلاب والسير فى طريق التطور من حال إلى حال ومن قديم الى جديد ، وبالأخص فى عصرنا هذا الذى تضاعف فيه سير الحضارة ، واختلطت الشعوب والأفكار واستولى على الانسانية كلها ما يشبه الحمى فى سرعة التحول والانتقال

فهل روح الاسلام وغايته العليا تعارض سير الحضارة وتقدم العالم ؟ وتلزم البشرية بالوقوف عند حال واحد لا تتعداها إلا اذا تركت الدين واستعاضت عنه باشياء مدنية لابد منها لاستكمال الحياة البشرية واطراد السير فيها والتطور من حال الى حال ؟ أما أنا فأجيب بأن الاسلام لا يتعارض بتاتا مع سير البشرية وتحولها . وأنه دين لين واسع الأفق ، نستطيع أن نوفق بين روحه وبين كل مظهر من مظاهر الحضارة ، وأن نجد فى نصوصه ما يساير الأطوار المختلفة التى تتخطاها البشرية فى عصورها المتباينة ، وهذا ما أريد أن أكتب عنه فى هذا الفصل ،

ويجب أن نلتفت إلى الفرق بين « روح » الدين وغايته . وبين أحكامه الفرعية وتطبيقها ، والفرق بين الدين كشعور وعقيدة وإيمان ، والدين كتقاليد وأشخاص دينيين ومظاهر كنسية للحكم والسيطرة . فروح الدين وجوهره هو الشيء الخالد الباقى الذى لا يتعارض مع أى عصر . والذى تجد فيه كل حضارة وكل أمة فى كل زمن ما يتفق مع احتياجاتها ويعينها ويسددها فى سبيل الغاية العليا والكمال البشرى

الذى تسير اليه ، روح الدين وجوهره هو الشيء الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وعلى هذا الفهم نستطيع أن نجد فى نصوص الدين الاسلامى وفى تاريخه أشياء تؤكد لنا أنه دين يستطيع أهله أن يجدوا فيه كل ما يتفق مع مظاهر الحضارة التى تغمرهم وتجذبهم اليها وتستولى عليهم وعلى جميع الدنيا طوعاً أو كرها .

وهذه أشياء أذكرها تؤيد ما أقول وتفصح عما أريد :

هذه المسايرة للزمن ، وتطبيق الأحكام على ملاءمات الاحوال والظروف واختلافاتها . مع المحافظة على جوهر النصوص وروح الدين . نجدها عند شخصيات فى قلوبها بصيرة للوقوف على مراميها وإدراك الغاية منها وعدم التقيد بحرفيتها ، ونجدها فى بيئة تختلف عن البيئة التى عرفنا فهمها لهذه النصوص ودرسنا ماقالته فيها وما استرشدت فيه بحاجاتها وحدودها العقلية والمدنية ومميزاتها الجغرافية والتاريخية

فمثلا إذا كنا فى عصر هين لين نحتاج فيه إلى زيادة الأنجاب والنسل ، نجد من روح الأسلام ما يشجعنا على التكاثر والتناسل والنماء . وإن كنا فى عصر عسير محرج ضيق نحتاج فيه إلى القصد فى الانجاب والالتفات فيه إلى الكيفية لا إلى الكمية . فنجد من روح الاسلام ما يجعلنا نخفف من نسلنا ونتقلل على ما نريد . بل نمتنع منه إذ نريد . نجد صحابيا جليلا وحاكما قادرا يبيح لنا التقليل من النسل . بل يوشك أن ينهانا عن العيال : « يامعشر الناس : إياكم وخلالا أربعة ، فانها تدعو إلى النصب بعد الراحة ، وإلى الضيق بعد السعة ، وإلى المذلة بعد العزة ، إياكم « وكثرة العيال ، وإخفاض الحال .... الخ » (١)

وإذا كنا فى عصر يتشدد أهله فى علاقاتهم الزوجية ولا يمتهنون رباط الأسرة ، ويعرفون أن أبغض الحلال إلى الله الطلاق ، فنحن نستطيع أن نجد فى أحكام الأمام والخليفة عمر بن الخطاب ما يجعل الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع ثلاثا ، وإذا كنا فى عصر مثل عصرنا الحاضر وهنت فيه العلاقات الزوجية واضطرب رباطها وأصبحت ألفاظ الطلاق على كل لسان ، فنحن نستطيع أن نجعل الطلاق

(١) من خطبة لعمرو بن العاص خطبها فى مصر أيام ولايته الأولى عليها ، أوردها ابن عبد الحكم فى فتوح مصر وأخبارها ص ١٣٩ طبع ليون وابن تغري بردي فى النجوم الزاهرة ص ٧٣ ج ١ »

الثلاث بلفظ واحد يقع طلقة واحدة ، ونجد فى نصوص الأسلام ما يبيح لنا ذلك كما وجدنا ما أباح لنا الأول : كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : إن الناس قد استعجلوا فى أمر قد كانت لهم فيه أناة . فلو أمضيناه عليهم ؟ فأمضاه عليهم » (١) وهذا ما فعلناه نحن فى مصر ،

وإذا كنا فى إقليم وفى مجتمع يلزمنا عمرة خاصة للرأس . وكان غيرنا من المسلمين فى إقليم أو مجتمع يلزمهم عمرة للرأس خاصة غير عمرتنا ، أو يجعلهم يسيرون حاسرين ، نجد من روح الأسلام ما يجعلنا نلبس ما نشاء . ويجدون هم من روح الأسلام ما يجعلهم يلبسون ما شاؤوا أو يحسرون كما يشاؤون : « كل ما شئت واشرب ما شئت ما أخطأتك اثنتان : سرف أو مخيلة » (٢)

ooo

الأمام الشاطبى من أعلم الرجال فى أصول الدين . ومن أبرعهم وأوسعهم ذهنا فى تطبيق النصوص الدينية والموازنة بينها وبين الأحوال . وله كلام يجب على كل رجل من رجال الدين أن يتدبره ويعتبره ، لما يدل عليه من فهم جيد لروح الأسلام ومسايرته لكل عصر وكل حضارة . وطواعية احكامه ونصوصه لأن توافق كل حضارة وكل جيل .

يقول الشاطبى : « ... والمسكوت عنه من الشارع لا يقتضى مخالفة . ولا يفهم للشارع قصداً دون ضده وخلافه . فاذا كان كذلك رجعنا إلى النظر فى وجوه المصالح . فما وجدنا فيه مصلحة قبلناه إعمالا للمصالح المرسلة . وما وجدنا فيه مفسدة تركناه إعمالا للمصالح أيضا . وما لم نجد فيه هذا ولا هذا فهو كسائر المباحات إعمالا للمصالح المرسلة أيضا » (٣)

ويقول : « إن الشارع توسع فى بيان العلل والحكم فى تشريع باب العادات . وأكثر ما علل فيها بالمناسب الذى إن عرض على العقول تلقته بالقبول ، ففهمنا من ذلك أن الشارع قصد فيها اتباع المعانى لا الوقوف مع النصوص » (٤)

(١) صحيح مسلم ص ١٨٣ ج ٤

(٢) ابن عباس رضى الله عنه

(٣) الموافقات للشاطبى ص ٢٨٩ ج ٢

(٤) ص ٢١٣ من نفس الجزء والكتاب

وللشاطبي أشياء فى غاية الجمال والابداع من هذا الفهم الواسع المحيط . وهذه النظرة الشاملة النافذة الى جوهر الدين وحقيقته الواعية لروحه الكلى الشامل ، وعلى رأس هذا الفصل فقرة هى الدستور الذى يجب ان يستوحيه كل مفكر دينى

يقول الشاطبي ايضا : « قد تكون العوائد ثابتة وقد تتبدل ومع ذلك فهى أسباب لأحكام تترتب عليها . . . . والمتبدلة منها ما يكون متبدلا فى العادة من حسن إلى قبح وبالعكس . مثل كشف الرأس فانه يختلف بحسب البقاع فى الواقع . فهو لذوى المروءات قبيح فى البلاد الشرقية . وغير قبيح فى البلاد المغربية . فالحكم الشرعى يختلف باختلاف ذلك ، فيكون عند أهل المشرق قادحاً فى العدالة ، وعند أهل المغرب غير قادح ، واعلم بأن ماجرى ذكره هنا من اختلاف الأحكام عند اختلاف العوائد ، فليس فى الحقيقة باختلاف فى أصل الخطاب . لأن الشرع موضوع على أنه دائم أبدى لو فرض بقاء الدنيا من غير نهاية » (١)

* * *

ويقول سيدنا عمر بن الخطاب عن الرمل فى الحج : « فيم الرملان الآن والكشف عن المناكب ، وقد أظهر الله الاسلام ونفى الكفر وأهله . . . ؟ » (٢)

وسرق جماعة لحاطب بن أبى بلتعة ناقة لرجل من مزينة . فلما أرسلوا إلى عمر بن الخطاب أقروا على سرقتها ، فأمر كثير بن الصلت أن يقطع أيديهم . ثم ردهم وقال : « إنهم يجيعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له ، ولم يقطع أيديهم » (٣)

ولما جاءت المجاعة والقحط فى سنة ١٨ هـ أيام خلافة عمر بن الخطاب لم يقطع أيدى السارقين

* * *

نحن نستطيع أن نسير مع كل حضارة . وأن نأخذ عن حضارة الغرب مايفيدنا وينعشنا ويلقح حياتنا باللقاح المجدد ، ولا نجد فى روح الاسلام مايصدنا عن ذلك .

ولكن المشكل هو فى وجود الرجال الذين يفهمون روح الدين بالعقل اليقظ الواسع الحر العارف حاجات العصر وتيارات الحضارة والذهن البشرى ؟

محمود الشرقاوى

عالم من الأزهر

---

(١) ص ١٩٨ — ١٩٩ — من الموافقات ج ٢

(٢) تاريخ عمر بن الخطاب لأبى الفرج بن الجوزي ، ص ٩٢

(٣) أعلام الموقعين ص ٣٢ ج ٣

الاسماعيليـــة

الملقبون بالحشاشين (١)

مقدمة

هذا بحث موجز لطائفة الاسماعيلية التى عرفت اخيرا عند أهل التاريخ بطائفة الحشاشين ، والتى تركت فى تاريخ الاسلام فى القرن الرابع الهجرى أثراً كبيراً ، وتاريخ الاسماعيلية قديم يرجع الى عام ثمانمائة وأربعين للميلاد ، بعد أن انتشر الدين الاسلامى وساد كثيراً من الأقاليم والبلاد ، فقام بانتشاره دعاة فى أقاصى الجهات وأدانيها يحاولون الحط من قدر الرسول ، ويخترعون الأحاديث الملفقة اختراعا يقلل من هيبة الدين الاسلامى ، وينزل به من مستواه الرفيع ، وكان أنشط أولئك القوم وأكثرهم تحمسا « ابن ديصان » ويقال إنه الجد الأعلى لعبد الله المهدى الفاطمى (٢) صاحب الدعوة بأفريقية ، فقد كان يكره بنى العباس ويود لخلافتهم الزوال ، فبث دعاته فى بلاد الفرس حوالى عام ٨٤٠ م حيث تبعه خلق كثير ، وألف كتاباً فى الزندقة سماه « الميزان » وألف ممن تبعوه عصابة سرية نسبت نفسها الى اسماعيل بن جعفر الصادق فسميت بالاسماعيلية ، ثم انتشر أتباعه بمرور الزمن فى جزيرة العرب والشام وأفريقية ، وظلوا نحو قرنين ونصف قرن ، تسرى تعاليمهم فى جسم الدولة الاسلامية كسريان السم فى العروق ، حتى جعل منهم الحسن « ابن الصباح » أخيراً عام تسعين وألف للميلاد طغمة سياسية تقلب الممالك وتخرب العامر من الديار ، وتسفك الحرام من الدم ، وتعمل فى مختلف البلدان سلباً ونهباً وقتلا ، وتدمن تعاطى الحشيش حتى لقبوهم بالحشاشين وسماهم الفرنجة Assassins وأطلقوا هذا الاسم على كل قاتل سفاك ، وبقوا على تلك الحال

---

(١) كلمة « الحشاشين » تعبير محرف لجماعة القتلة الاسماعيليين ؛ والصواب « الحشيشية » فهى الكلمة التى تطلقها عليهم الرواية الاسلامية المعاصرة . وهكذا يسميهم أقدم مؤرخى الحروب الصليبية من المسلمين مثل العماد الاصفهانى صاحب « الفتح القسى » وشهاب الدين القدسى صاحب الروضتين (راجع الروضتين ج ١ ص ٢٥٨) (الرسالة)

(٢) هو عبيد الله المهدى الفاطمى لاعبد الله (الرسالة)

حتى تقضى عليهم عام ١٢٥٦ م ، أى سنة ٦٥٤ هـ بوفاة خليفة الحسن ابن الصباح الأخير ركن الدين بن محمد ، ولا يزال للاسماعيلية الى يومنا هذا أتباع ومريدون ، ولكن شتان بين مالهم الآن وما كان لهم فى تلك القرون الغابرة من قوة وسلطان ، وهم متفرقون فى فارس والهند ، وزعيمهم أغا خان الهندى الثرى المعروف .

وقد كان لتلك الطائفة عدا اسم الاسماعيلية أسماء اخرى فسموا بالقرامطة نسبة إلى قرمط احدى قرى البحرين التى تفشى فيها مذهب ابن ديصان فى القرن الثالث الهجرى بدعوة من رجـــل يقال له حمدان قرمط ، يقول ابن خلدون ، وكان من هؤلاء الاسماعيلية القرامطة واستقرت لهم دولة بالبحرين ، وكان من أسمائهم (الباطنية) وذلك لأنهم كانوا يبطنون دعوتهم وينشرونها متكتمين فى عهد المستضىء العلوى لابنه نزار ، وقيل انما سموا بذلك أيام الحاكم بأمر الله العبيدى الذى أنشأ فى القاهرة فى القرن الثالث الهجرى مدرسة سماها دار الحكمة كان الطلاب يعلمون فيها معنى مكتوما لمتن القرآن ، وسواء أكان السبب هذا أم ذاك ، فالتسمية راجعة الى تكتم القوم فى دعواهم وتعاليمهم . وكان من اسمائهم أيضا اسم الحشاشين ، وقد لقبوا به أخيرا ، واطلق على طائفتهم التى عاشت أيام الصليبيين . وسنذكر فيما بعد أثر ذلك المخدر عندهم ، وكيف استغلوا فعله فى قضاء مآربهم . وسموا كذلك بالفدائية لانهم كانوا يحملون انفسهم ، وخاصة فى عهدهم الاخير ، فداء لرئيسهم ينفذون أوامره ولو أدى ذلك الى التضحية بالنفس فى سبيله . والمصادر الشرقية تطلق عليهم غالبا اسم الاسماعيلية والملاحدة والنزارية . وهذه الاسماء الكثيرة هى لطائفة واحدة تعددت باختلاف الملابسات والظروف . فهم اسماعيلية نسبة الى اسماعيل بن جعفر ، وهم فدائية لانهم يضحون بأنفسهم فداء لرئيسهم ، وهم ملاحدة لانهم عند البعض ينكرون الاله ، وهم قرامطة نسبة الى قرمط وهكذا . . غير ان اسم الحشاشين هو الذى عرفوا به آخر أمرهم .

مذهب الاسماعيلية

كان للسريان الفضل فى نشر الفلسفة اليونانية ، وخاصة مذهب الافلاطونية الحديثة فى العراق وما حوله ، وقد ترجموا الكتب من اليونانية الى السريانية فانتشرت فيما بين النهرين ، وكان من اشهر رجال الدين والأدب من السريان الذين عرفهم المسلمون برديصان أو ابن ديصان ، وقد توفى سنة ٢٢٢ م وله مذهب دينى يجمع بين اليونانية والنصرانية ينكر فيه بعث الاجسام ويقول إن جسد المسيح لم يكن جسما حقيقيا بل هو صورة شبهت للناس أرسلها الله تعالى . وله تعاليم أخرى بقيت بعد الاسلام ، ومنها استمد الرافضة بعض أقوالهم .

وقد انتسب اليه بعضهم كأبى شاكر الديصانى الذى بعث دعاته فى بلاد الفرس والعرب والشام وجمع حوله اتباعا وانصارا نسبوا انفسهم الى اسماعيل بن جعفر الصادق فسموا بالاسماعيلية وهم غلاة الرافضة . يقول ابن خلدون ، افترق الرافضة فرقتين : الاثناعشرية والاسماعيلية ، تلك بعض تعاليمهم أول أمرهم وقد انقلبوا اخيرا الى فرقة سياسية تعمل على هدم الخلافة العباسية ، ولم يعد لهم (مذهب) بالمعنى الصحيح يدعون اليه ، وكانوا فى العراق يطلق عليهم اسم القرامطة (١) حتى تولى زعامتهم الحسن بن الصباح فلقبوا بعده بالحشاشين ، ونحن نجمل تاريخهم قبل زعامته التى بدأت عام ٤٨٣ هـ وانتهت عام ٥١٨ هـ .

بدء القرامطة :

كان بدء ظهورهم فى البحرين على يد رجل يعرف بيحيى بن المهدى نزل فى قطيف على رجل يدعى على بن المعلى بن حمدان مولى الزياديين ، وكان يغالى فى التشيع ، فاظهر له يحيى انه رسول المهدى ، وكان ذلك سنة ٢٨١ ؛ وذكر أنه خرج الى شيعته يدعوهم الى أمره وأن ظهور المهدى قريب ، فارسل على بن المعلى الى شيعته من أهل القطيف فأقرأهم كتاب يحيى الذى زعم انه من المهدى فاجابوه ، وكان فيمن اجابه ابو سعيد الجنابى الذى تولى الزعامة فيما بعد (٢) وخلفه فيها ابن الصباح ، وظل يحيى يغيب عنهم ثم يعود اليهم ، وفى كل مرة يطلب منهم المال زاعما انه يذهب به الى المهدى . وفى عام ٢٨٩ ظهر بالشام رجل قرمطى اسمه ذكرويه بن نهرويه يدعو الى مذهب القرامطة ، ولقبه اتباعه بالشيخ ، وزعم انه من احفاد اسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب ، واستفحل أمره فسير اليه المعتضد جندا ظفروا باتباعه واسروا رئيسهم أبا الفوارس . وهنا نذكر مادار بين ابى الفوارس والمعتضد حين جاءوا اليه به لنتبين شدة القوم وجرأتهم على خلفاء العباسيين . يقول ابن

---

(١) من الخطأ إن يقال إن القرامطة هم الاسماعيلية . فالقرامطة فرقة ثورية مستقلة من غلاة الشيعة قامت على مبادىء ودعوات خاصة بها ، وكانت فى كثير من الاحوال خصيمة للاسماعيلية الفاطمية (الرسالة)

(٢) توفى سنة ٣٠١ هـ

الاثير «فأحضره (المعتضد) بين يديه وقال له أخبرنى ، هل تزعمون أن روح الله وارواح أنبيائه تحل فى اجسادكم فتعصمكم من الزلل وتوفقكم لصالح العمل ؟ فقال له ياهذا إن حلت روح الله فينا فما يضرك ، وان حلت روح ابليس فما ينفعك ، فلا تسأل عما لاينفعك وسل عما يخصك ، فقال له وماتقول فيما يخصنى ؟ قال أقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وابوكم العباس حى ، فهل طلب بالخلافة أم هل بايعه أحد من الصحابة على ذلك ؟ ثم مات أبو بكر فاستخلف عمر وهو يرى موضع العباس ولم يوص له ، ثم مات عمر وجعلها شورى فى ستة أنفس ولم يوص له ولا ادخله فيهم ، فبماذا تستحقون الخلافة وقد اتفق الصحابة على دفع جدك عنها ؟ فأمر به المعتضد فعذب وخلعت عظامه ثم قطعت يداه ورجلاه » فهذا الـــكلام وتلك اللهجة التى يخاطب بها أحد زعماء القرامطة خليفة المسلمين تدل دلالة واضحة على استبسال القوم وجرأتهم فى الافصاح عن آرائهم ومذهبهم ، وقد ظل القرامطة بعد المعتضد فى حروب مع المكتفى ومن بعده من الخلفاء طوال القرنين الثالث والرابع الى قبيل منتصف القرن الخامس يهزمون ويهزمون ، حتى دوخوا الدولة وشقيت بهم الناس ، وعانت الدولة العباسية فى سبيل قمع حركتهم جهدا كبيرا ، وشغلوا بحركاتهم الهجومية جانبا عظيما من وقت الخلفاء. نحشدوا لهم الجيوش يقاومون دعوتهم الجريئة وخروجهم عليهم ، وكثيرا ما انهزمت جيوش الخلفاء أمام جيوشهم واستماتتهم فى الدفاع ، وكم من غنائم ظفروا بها وارواح اودوا باصحابها ، وكم من اسرى قتلوهم وصفدوهم بالاغلال . وأظهر ما فى تاريخهم فى تلك السنوات العديدة أعمالهم الوحشية واتخاذهم القتل والتعذيب وسيلة الى دعوتهم ونشر مذهبهم ، واشنع من ذلك اعتداؤهم على قاصدى بيت الله يقتلونهم ويسلبونهم اموالهم وينشرون الرعب فى القلوب حتى قل زائرو الكعبة وانقطعوا عن الحج فى بعض السنين ؛ وقد سودوا صحيفتهم بالاعتداء على الحجر الأسود ونقله إلى أحد حصونهم حيث بقى فيه نحو اثنتين وعشرين سنة .

هذه الفئة التى اجملنا تاريخها الى عام ٤٣٦ وفيه أوقع صاحب ماوراء النهر بجموعهم وكتب الى سائر البلاد بقتل من فيها منهم والذى اسرفنا فى اجماله حتى لايمل القارىء من تفصيل الحروب وكثرة المواقع ، هذه الفئة هى التى ازدادت شوكتها قوة وامرها خطرا وسدرت فى اعمال القتل والنهب وامعنت فى تعاطى الحشيش واستمرأت خداع الناس وفتنتهم عن دينهم ، وذلك بظهور الحسن ابن الصباح وتوليه زعامتها عام ٤٨٣ ﻫ فجعل منها عصابة سياسية مجرمة دينها أن تعيث فى الأرض فسادا تقتل وتنهب وتقلق الوادعين. تلك هى طائفة الحشاشين فى نهاية القرن الخامس الهجرى. وقبل أن نشرح أعمالها نتكلم عن زعيمها هذا وكيف وصل الى زعامة القوم فهوى بهم الى الحضيض الاسفل من الاخلاق والسلوك .

« للبحث بقية »

محمد قدرى لطفى

ليسانسييه فى الآداب

٢ — تولســـتوى

اجتماعياته

— ٣ —

لن يحقق هذا الحلم مؤتمرات تعقد ومعاهدات تمضى أو نظم تعدل وقوانين تفرض .

وإن مؤتمراً يجتمع ويتلوه مؤتمرات أخرى لا تحل مشاكل العالم . وإن سكنت ألم الانسان الى حين ، والمعاهدات قصاصات ورق لاتغير شيئا ولا تدفع مضرة ، ولا يخفف من البؤس الواقع حزب اشتراكى يتولى أو حزب محافظ يتحكم . فليس معنى ذلك الا أن طبقة حلت محل أخرى . وأفراداً استبدل بهم أفراد . وليس معناه الا أن يبقى النظام الحالى بضرائبه المرهقة وحواجزه الجمركية المشتطة وميزانيته العجيبة ينفق ثلاثة أرباعها على اعداد الجيوش وتجهيز الحروب .

إن الاصلاحات التى تفكر فيها الجماعات الحديثة من تحديد ساعات العمل أو تنظيم علاقات المالك والاجير على ما فيها من الفائدة لا تجتث الشر من أساسه . فكيف الطريق إذن ؟

أثورة دموية لا تبقى ولا تذر ؟ تراق فيها دماء الطبقة الحاكمة ويزهق فيها أرواح الأغنياء . . ؟

ولكن تولستوى كان آخر من يدعو الى العنف وآخر من يفكر فى مقابلة الشر بالشر .

ان التعاون لا يمكن أن يقوم على سفك الأرواح . والرخاء من المستحيل أن يعتمد على أسنة الحراب . وما كانت الانسانية التى بشر بها تولستوى ليكون الطريق اليها مغطى بالدماء حافلا بأنين المجروحين وجثث القتلى .

لقد قامت الثورة الفرنسية باسم أشرف المبادىء الانسانية وعلى أكتاف أشد الناس حماسة واخلاصا . وحسب الناس أن نوراً جديداً قد اشرق يلوح بالسلام المنشود والهناء الدائم . ولكن الثورة الفرنسية لم تنجح كثيراً . ولم تفعل رغم الادعاءات العريضة التى بشرت بها الا أن تحل طبقة محل أخرى وتستبدل اسما باسم وملكية بجمهورية .

وفشلها راجع إلى انها قامت على العنف واراقة الدماء . إن الشر لا يجب ان يقابل بالشر ، وإن أكبر ما يعاب على المجتمع الحالى اعتقاده أن الثورة الدموية هى الطريق للخلاص ، وان الحرب شر لابد منه . وأن القتال قانون طبيعى لولاه لازدحم العالم بالسكان ولما وجدوا قوتا يكفيهم . وليس أسخف من هذا الزعم زعم . فان أشد ما يعتز به الفرد هو حياته ، وأقدس واجب لديه هو المحافظة على هذه الحياة والعمل على ابقائها . وأكبر أمنية للانسان هو الخلود أو العيش الى أطول العمر ، فتناقض إذن ان تزعم ان قانون الحياة هو الموت أو ان من الضرورى ان يقتل الأخ أخاه .

لقد دعا تولستوى الى السلام والاخاء الانسانى . وأهاب بالانسانية القضاء على التسلح والمقاومة .

وقد يبدو أن هذا أمر ثانوى لا علاقة له باصلاح العالم . ولكن ليعتقد الافراد جميعا ان الشر هو فى الحروب . وان بؤس الانسانية راجع الى العنف والاستبداد ، وليؤمنوا بالسلام وضرورته ، وستسقط بطبيعتها جميع النظم القائمة . فلن تقوم حكومة من الحكومات الا إذا استندت الى إرادة الشعوب ، ولن يوضع قانون الا اذا رغب فيه الافراد . ولن تسير دفة عمل من الاعمال الا اذا كان قائما على التعاون والاشتراك . ولن تجد نزاعا بين دولة وأخرى الا ويفض فى بضعة أيام عن طريق التحكيم . فتولستوى يرى من العبث التفكير فى كيف تكون الحكومة . أو على أى أساس تشرع القوانين . إذ الحكومة لديه ليست الا مجموعة افراد والقوانين ليست الا من وضع بضعة افراد . والدولة لا معنى لها لا بمجموع افرادها ؛

فى إصلاح الفرد وحده . وفى الارتفاع بعقليته والسمو بنفسيته أساس المدنية المستقبلة . ماذا يجدى ان تصلح من شأن حكومة ، اذا كان القائمون بها هم هم لم تتغير نفوسهم

لن يجدى هذا نفعا . ولكن يكفى ان يعتقد كل فرد بوحشية الحروب فى سبيل قطعة أرض أو من أجل شهرة وطنية كاذبة . ويكفى أن يمسى هذا الاعتقاد عملا حتى يشرق الصباح عن اختفاء اله الحرب من الارض

ويمكن - اذا آمن الناس بضرر الفروق الاجتماعية بين الطبقات وما يساعد على ابقاء هذه الفروق من قانون الوراثة ونظام الملكية - أن تختفى الملكية فجأة وتحل المساواة بين البشر .

ولا شك أنه لو أيقن كل إنسان أن سعادته فى خدمة أكبر مجموعة إنسانية يستطيع خدمتها لانهارت من أساسها مانسميها الوطنية التى تراق من أجلها الدماء وتزهق تحت علمها ملايين الارواح . ويجر باسمها الخراب والدمار والارتباكات المالية والاقتصادية .

فلتقم الشعوب . لا . بل لتقم طائفة منها تعلن أن كفاهم رياء وخداع ، وانهم لن يخضعوا الا لما توحيه اليهم ضمائرهم ، ولن يعملوا الا ما تحتم عليهم مبادئهم . فلا يذهبون الى قتال يعتقدونه شرا ولا ينفذون قانونا لا يرون فيه خيرا . ولا يدفعون ضريبة لا معنى لها . ولا شك أن كل مساوىء العهد الحالى تصبح فى خبر كان

ان للرأى العام قوة عظيمة تسير الحكومات والدول . فاذا ما أراد الرأى العام شيئا فهو واصل الى ما يريد . والرأى العام ساخط متذمر من النظام الحالى وهو يريد أن يعمل شيئا ، ولكن لا يعرف ما يريد ولا يدرى ماذا يعمل .

قد تسأل : ومن له الشجاعة ليقوم بهذه الدعوى ومن له الاستعداد لما قد تجره عليه من اضطهاد وسجن وتشريد ؟

ولكن تولستوى يعجب : لماذا تنتظر الانسانية منقذا من السماء أو مسيحا يهبط الى الارض .

إن نفسية الجماعات الحالية لا تحتاج الا الى بضعة أفراد بل فرد جرىء يرشدها الى طريق العمل حتى تقوم قومة رجل واحد .

— ٤ —

إن صلاح نفوس الافراد وتربيتهم من أخطر ما يدعو اليه تولستوى ، وهذه التربية إما أن تتناول الصغار أو الكبار . فهى للكبار

بث العقيدة الانسانية فيهم واقناعهم ان لا فائدة تعود عليهم من حرب ضروس ، والاهابة بهم الى نبذ العنف واحلال الوئام والصفاء .

وأما تربية الصغار فهى أجل وأعظم شأنا .

ولقد سدد تولستوى الى التربية الحديثة سهاما مسمومة . وكال لها تهما شنيعة ، وليس يعنيه من أمر المدرسة علوم تحشى بها أذهان الطلبة المساكين ولكن يعنيه روح التربية .

فالتربية الحديثة تساعد احط الغرائز على الظهور والنمو ، فهى تبعث التنافس والغيرة والحقد فى نفوس الاطفال وتشبعهم بفكرة العقاب والثواب ، وتلقى فى روع الطفل الانانية وحب الفوز على أكتاف اخوانه من التلاميذ . فهو يهنأ على تقدمه عليهم ، ويكافأ اذا بذهم وفاقهم

وهى فوق ذلك تربية عسكرية تهمل شخصيات الاطفال اهمالا وتزعم أنها مستطيعة ان تشكل عقليات متغايرة تشكيلا واحدا . وهى مضطرة فى سبيل هذا ان تخضعهم لنظام معين وتجبرهم بالقوة على التزام حركات خاصة والجلوس فى غرف ضيقة مما ينفر الطفل من المدرسة والمدرسين ، ومما يكبت فيه ميوله الطبيعية ومواهبه .

إن الطفل له شخصية قائمة . وليس يتاح لأى مدرس ان يفهمه على حدة فيعرف مايلائمه وما لا يلائمه . والمدرسة الوحيدة التى يمكن ان ينال فيها الطفل تربية صحيحة هى البيت .

نعم هى منزله . حيث يجد الحنو والشفقة الابوية . وهى مسكنه حيث تراعى ميوله وحيث يفهمونه فهما حقا . وبذا يرفع تولستوى من شأن التربية المنزلية ويجعلها فى المكانة الاولى . وقد جره هذا . إلى البحث عما إذا كان البيت والعائلة الحالية يصلحان مكانا لتربية الاطفال .

وجوابه أن لا

فنظام الزواج الحالى نظام عتيق فاسد ، والعلاقات العائلية اليوم كبقية العلاقات لا تستند إلا على الرياء والعنف . فالمال يتحكم تحكما فى العلاقات الزوجية . والرجل الغنى هو كل شىء فى الزواج الحديث . مهما كان أومريضا ، ضعيفا أومنحطا . فهو يرحب به لأنه ذو مال ، ولأنه أقدر من غيره على الانفاق . والفتاة الحديثة لاتكاد تفهم مهمتها التى خلقت من أجلها . والزوجات يرون فى الالتصاق بالبيت عاراً أو تأخراً . بل يحسبن فى الاطفال عبئا ثقيلا لا يتفق والسهرة ومحال الرقص . ولا ينسجم والرقة والأناقة . ومن هنا دعا تولستوى إلى هدم نظاما لزواج هدما يتناول الاساس

فالأم كما يرى تولستوى يجب أن تختار لابنتها زوجا قوى الجسم ممتلىء الصحة محبا للعمل ناسية مكانته الاجتماعية غير ناظرة إلى جيبه انتفخ بالاوراق المالية أم لم ينتفخ .

والزوجة يجب أن تؤمن بأن عظمتها فى المنزل ، وفى انشاء طفلها الذى قد يتحكم يوما فى مصير العالم . وهى اذا كانت قد تلقت أرقى العلوم فلكى تحسن ادارة بيتها . وهى ان درست ووفقت فى الدرس فلكى تجيد تربية طفلها . فالمرأة فى يدها مستقبل هذا العالم .

ولكن أى امرأة ؟ ليست هى هذه المرأة المستهترة ، ليست هى سيدة الصالونات . ولكن ربة البيت والام الرحيمة تنشىء أطفالها على حب السلام وحب الآخرين . وتربى فيهم كراهية الشر ومقت العنف

***

لقد نادى تولستوى بكل هذا فى اخلاص وايمان وبعد تفكير طويل وتدبر ليس بالقليل ، وقد توافق على دعوته وقد لا توافق . وقد تحسبها الحكمة بعينها أو خيالا متطرفا . ولكن لا يسعك الا أن تعجب بالرجل وأن تعجب باخلاصه ، وان تجد أيضا فى دعوته الحق أو بعض الحق

ولعلك تشتاق بعد هذا الى معرفة شىء عن حياة تولستوى أو فهم الظروف التى أحاطت به فخلقت منه رسول السلام والانسانية على الأرض . هذا ما قد نكتب فيه مرة أخرى .

شهدى عطية الشافعى

بكالوريوس آداب

من طرائف الشعر

الربيع الباكر

للاستاذ محمود الخفيف

قادنى الشوق الى واد مَريع   أسفرت فيه بواكير الربيع
وانجلى آذار بسام الضحى   كابتسام الزهر فى زهو وديع
ألبس الزهر أكاليل الندى   ودعا الطير فلبى منشدا
وترى الاغصان مالت طربا   وانثنى الجدول تيها وبدا
ضاحك الصفحة مطلول الاديم

يجتلى للعين منضور البطاح   باسم الضفة عن وشى الصباح
سالت الالوان فى قيعانه   وارتدت آكامه أبهى وشاح
وسرت فى جوه ريح الصَّبا   تنشر المكنون من سر الربا
تملأ الكون حديثا عطرا   كحديث النفس فى زهو الصبى
أو كصافى الشعر يرويه النديم

يتبدى الكون موفور الرواء   رفرفٌ خُضْر ووشى ونماء
وصفاء شاع فى أركانه   عرف القلب به معنى الصفاء
وفضاء تنعم النفس به   يَذهل المعجب عن اعجابه
يقف الشاعر فى أحضانه   موقف الصوفى فى محرابه
غارق الاحلام فى فيض النعيم

فطن القلب الى معنى الحياه   فى مجاليه واشراق ضحاه
ثم فى بعث كساه حسنه   أينما دُرت بعينيك تراه
ومراح جال فيه طالما   علق القلب به مستسلما
غرقت عيناى فى جنته   فكأنى فيه أروى حلما
عن ربا الخلد ومرآها الوسيم

هذه الزهرة فى نضرتها   تحسر الألحاظ فى وجنتها
خلص الحسن لها فابتسمت   بسمة الحسناء فى خلوتها
تعشق الكون وتهوى نوره   أو لم توح اليه سِحرَهُ ؟
فتجلى حسنه فى حسنها   وحبته من شذاها نشرَه
فلربَّا نفحه عنها نميم

منظر الطير على أفنانها   يملأ السمع صدى ألحانها
نسيت نفسى به أتراحها   وتمشى البرء فى وجدانها
وخرير الماء فى ظل الشجر   كغناء العود فى ليل السمر
نغمات كأحاديث الهوى   أو أغانى الصيف فى ضوء القمر
تَدرأ السقم عن القلب السقيم

يافراشاً رفّ فى جنب الغدير   دائم الوثب على العشب النضير
هجت أشواقى الى عهد مضى   أين منى عيشه الحلو الغرير ؟
حينما كنت صبيا لاهيا   لن ترانى ذات يوم وانيا
عن طِلاب اللهو فى ظل النخيل   أعشق الريف ضحوكا حاليا
مشرق الضحوة خفاق النسيم

ياربيعا أشرقت ألوانه   وتعالت فى الضحى ألحانه
يازمانا راقت الدنيا به   وسرى فى جوها ريحانه
ايه ياعهد الصبا المقتبل   أنت رمز الحب ، روح الامل
رفل الدهر به فى نعمة   وتحلى الكون بعد العطل
بنثير من حلاه ونظيم

شاعر يتلو الورى آياته   يُستنزل الالهام من ساحاته
عبقرى دق فى تصويره   وسمى بالشعر عن غاياته
شعره ياحسنه فى فيضه   فى سماء الكون أوفى أرضه
قد وعاه القلب ألحانا على   سرحة فينانة فى روضه
ملكته فهى منه فى الصميم

هى دنيا من ربيع زاهر   وضحى ضاف ونشر عاطر
ملأت قلبى وعينى بهجة   سوف يبقى وحيها فى خاطرى
سوف يبقى حسن هاتيك الرؤى   حلما يذهب عن قلبى الأسى
كلما مثلته فى خاطرى   نسى القلب به حر الجوى
فهو من ذكراه فى ظل عميم

آذار

أغنية الربيع

« مهداة إلى سر شوق »

لشاعر الشباب السوري أنور العطار

هلمّي انظري قبلات الربيع   على معطف السّهل والرّابيه
سرت في السموات أنفاسه   فعطّرت الحقل والسّاقيه
وآذار يلعب فوق المروج   كما تلعب الطّفلة اللاهيه
يعانقها وهو جمّ الحنين   فتغريه بالمقلة الرّانيه
ويلقي عليها وشاح الخلود   وألوانه العذبة السّابيه
ويبعث فيها شعاع الهوى   فتهتزّ من وهجه صابيه
تألّقت الأرض من وشيه   فلم تبق زاوية خاليه
وقد زيّن الغاب أفياءه   بأحلى مطارفه الكاسيه
خمائله من نسيج النعيم   تأرّج بالنّفحة الذاكيه
رجواء من العطر طفّاحة   تنمّ رائحة غاديه
كأنّ النّسيم أخو سكرة   تعايا من الخمرة العانيه

تعاشيب ناهلة بالطّيوب   مفضّضة الثّوب والحاشيه
كأنّ على الأرض عرساً يقام   فتمشي إليه الدّنا حابيه
تعالت الى الله أفراحه   تمايد حافلة حانيه
وهبّت مواكبه الضاحكات   تجدّد أعيادها الباهيه
رياحينها قد ملأن الفضاء   ولم تخل من عطرها ناحيه
ففي الجوّ ذابت أغاني الطيور   بهينمة النّسمة السّاليه
وفي الحقل ثار ضجيج القطيع   حنيناً لزمّارة الرّاعيه
تذوب من الحب أنغامها   فتخفت من ناره الصّاليه
برأها الهوى وطوت سرّه   فبان من النغمة الفاشيه

فيالك عرساً بهيّ الاطار   جديد الرؤى والمنى الهانيه
هلمّي افتحي كوة للربيع   لنشرب ... فرحته ثانيه
فقد ملّت الروح عبء الظلام   وحنّت إلى البسمة الضاحيه
أكان سجوك غير الرقاد   تغلغل في المقلة الساهيه
وأغفل بين شعاب الجفون   تصاوير من مهجة باكيه
يبين على صفحتيها الانين   وتخشع فيها الرؤى جاثيه
توهج من ماسها في العيون   روايات أحزانها الطاغيه
هلمّي اقرئي خافيات الحظوظ   وما تضمر العيشة الباغيه
ونوحي على حلم مورق   تبدّد في السكرة الغاشيه
سيمضي الشّباب كأن لم يكن   سوى ذكرة حلوة ساجيه
تجدّد أحلامه الغابرات   وترجع نشوته الماضيه
كأنّ له ملعباً سارّاً   تناسته أيّامه الخاليه
تموج بأفيائه النّعميات   وتلمع فيه المنى الغاليه
بدا والحياة على جانبيه   تتيه باحلامها الغاويه
بحفّة آذار تلقي عليه   أزاهيرها الثّرّة الغانيه

تعالي نوثّق عهود الهوى   ونسرد حكاياتها النائيه
ونوقظ لياليها الغاليات   ولولا الهوى لم تكن غاليه
أقاصيص ملء الرّبى والوهاد   تناثرن من أكبد شاكيه
أرجن وعطّرن هذا الفضاء   كما تأرّج الزهرة الناميه
ولقّنّ منه معاني الحياة   وأدركن من دائه ماهيه
رويدك ولنستمع سرّه   فان له ألسناً حاكيه
وإن له سيراً جمّة   تناقلها الأنفس الصاغيه
تعالي إلى الصدر تلق به   شكايات أضلاعه الحانيه
وأوجاع خافقه المستهام   وإرنان أفيائه الواهيه
فلا البثّ يهدئ تحنانه   فيرتاح من شجوه ثانيه
ولا الحبّ يوليه بعض المنى   فيفرح بالمنحة الراضيه
ويشدو الاغاريد ضحّاكة   فتحيا بها المهج الداميه

ولما اقتسمنا دموعَ العيونِ   تفردتُ بالدّمعة القاسيه
فلا هى تسكنُ شعبَ الجفونِ   فتخفى ولا هى بالهاميه

أطلتِ رُنوّكِ نحو السماء   وأطرقتِ راهبةً خاشيه
فهل تبحثين عن الغائبين   ومن غاص فى اللجة الطاميه
فرابتكِ ضفّة هذى الحياة   وخفتِ من الضفّة التاليه
فنُحتِ وصحتِ النجاةَ النجاة   وأين النجاةُ من الهاويه
هنالك لا النور ضافى الجناح   ولا الطير صادحة شاديه
خلتْ من بهارج هذا الوجود   وأحلامه الحلوة الزاهيه
سوى موجةٍ من بنات السماء   تحومُ بأرجائها عاريه
يُشعّ على جانبيها الخلودُ   وما ضمّ من صُوَر ساميه
كأن عليها إطارَ النّعيم   وغبطتَهُ اللذّةَ الشّافيه
حنانيكِ لا تسبحى فى الدموع   ولا ترهبى الراحةَ النّاجيه
فما إنْ تقى من إسار الرّدى   إذا حُمّ يومُ النوى واقيه
وليس تردُّ عليكِ الدموعُ   سوى حرقةٍ مرّةٍ واريه

وربّتَ أمسيةٍ برّةٍ   ترفُّ بها الذّكَرُ القاصيه
جلستُ على جنبَات الغدير   أشيّعُ أمواهه الجاريه
أردّدُ أشعارىَ النّائيات   وأستقبلُ الفكَرَ الآتيه
وتشدو الطيورُ أغاريدَها   فألقطُ من فمها القافيه
ودِدتُ من الغيب كلّ الوداد   لو انّى لأشعارها راويه
ويوحى المساء الى خاطرى   هواجسَ غامضةً خابيه
مُوَشّحةً بطيوف العفاء   كأنّ بها جِنّةً باديه
فأصغى إلى همسه المستطاب   وأسمعُ ألحانَه الخافيه
أعبُّ لذاذاته الطّافحات   وأكرعُ سكرَته الصّافيه
وأنسى متاعبَ هذا الوجود   وعيشتَه الوحشةَ الجافيه

وغيبوبة مثل كهف النّسور   تضيع بها الانفسُ الرائيه
توشّحها مائجات الغيوم   وأطياف أجنحها الضافيه
رقيتُ أعاليها مُفرَداً   ورُوحى سبّاقة حاديه
وخلّفتُ جسمى فى الهامدات   تُطيف به الصورُ الفانيه
وأطللتُ من فرجات الضباب   على عالم الرّمم الباليه
تجردتُ من صفة الهالكين   ومُتّعتُ بالصفة الباقيه
وقد غبتُ عنى كأنْ لم أكنْ   سوى نفحة سمحةٍ عاليه
وأنسيتُ أنى ابنُ هذا التّراب   وضجعته المُرّة الطاغيه
بكاءٌ على أملٍ لامعٍ   تطايرَ فى الفينة الصّاحيه
وغلغل فى عالم غامضٍ   أمانيه ساخرةٌ هاذيه

هلمى افتحى كوّةً للضّياء   لننسى بها الكوّةَ الدّاجيه
فليس لنا أملٌ فى الرّبيع   ونفحته العذبة السّاريه
وما العمرُ غيرُ ربيع الشباب   ربيع الهوى والرّؤى الوافيه
تجوسُ به الذكريات العذابُ   ويغمرُهُ الحبّ والعافيه
إذا طاح طاحت مسالى الوُجود   وغابت مفاتنه الحاليه
وصار إلى عالم موحشٍ   كصحراء خاليةٍ خاويه

أسيتُ لعمرٍ تولى سناهُ   كإيماضة الشعلةِ الوانيه
فيالك من عمرٍ ضائعٍ   كما تنثرُ الباقةُ الذاويه
هوى النجمُ من شرفات الحياة   فأمست على إثره هاويه

... ...
... أفاتك أنى جمّ الجروح   أعيشُ على يدكِ الآسيه
فوليتِ عنى وخلفتنى   أحنّ الى الساعة القاضيه

... أموت وقيثارتى ما تزال   تنوح على مهجتى الصاديه

أنور العطار

فى الأدب الفرنسى

بيير كورنى Pierre Corheille

للدكتور حسن صادق

حياته وعبقريته ورواياته

تتحدث فى هذا المقال عن عبقرية شعت فى معاصريها الحرارة والنور ، عن شعلة وهاجة فيها جمال وانسجام ، وفى جوهر هادى وسلام ، عن مدرسة عالية تتعلم القلوب فيها السمو والشجاعة ، وتتهيأ النفوس فيها للعفة والنبل والصفاء ، عن مدرسة علمت الفرنسيين نفاسة الارادة وبطولة الواجب وجمال التضحية . وسنجعل موضوع المقالات التالية عن عظماء الكتاب الفرنسيين فى القرن السابع عشر وهم : بسكال ولاروشفوكو ولافونتين وموليير وراسين وبوسويه وفنلون ولابروبير وسان سيمون ومدام دى سفنييه

***

إذا ولد ابن ملك ، دقت النواقيس وأطلقت المدافع إيذانا بمولده ، وفرض على الشعب أن يبتهج إن كان شقيا ، أو بعث الفرح فى فى نفسه إن كان مجدودا سعيدا . وإذا ولد عبقرى ، جهل الناس أمره ولم يعرف حقيقته إلا الله الذى يسم جبينه بطابع إلهى ويعين مهمته العالية بين البشر . وبعد أن تكشف العبقرية عن نفسها ويسود مجدها ، يبحث الناس فى ظروف مولدها وفى حوادث شبابها عن الامارات العظيمة التى تدل على مستقبلها . وكذلك ولد بيير كورنى فى ٦ يونيو عام ١٦٠٦ بمدينة روان . ولم يسطع فى ذلك اليوم نجم فى السماء جديد أو يحدث على سطح الغبراء حادث خارق يعلن الى الناس مجىء رجل عظيم

أحبه والداه حبا شديدا ، وربياه على التقوى والفضائل . ولم يجدا فيه مايدلهما على أن اسمه سيكون يوما فى شعفة المجد الفرنسى . ولما بلغ أشده أدخله أبوه مدرسة يديرها الجزويت فتلقى فيها تربية قوية صلبة وتعليما متينا . ولم ينس قط لهذه المدرسة الأثر الجميل الذى خلفته فى نفسه الغضة . ثم أراد له أهله أن يكون من رجال القانون فكان ، إرضاء لهم دون أن يشعر بميل إلى ما أصاروه إليه

نال إجازة الحقوق فى ١٨ يونيو عام ١٦٢٤ وترافع أمام القضاء ، ولكنه لم يصب غير الفشل الممض لأنه كان خجولا يشعر فى حضرة الناس باكتئاب باطنى يغمز عليه الحيرة والاضطراب ، ويسلط على لسانه الحبسة والحصر . وفجأة حدثت مصادفة سعيدة أظهرت عبقرية هذا المدره الصغير . كان له صديق عزيز عليه يحب فتاة ، وقد طلب منه هذا الصديق ان يصحبه فى زيارته لها فأجاب سؤله . ولما تكررت هذه الزيارة أدرك كورنى أن الفتاة أخذت ترنو إليه دون صديقه ، فكف عن زيارته لها لأنه بطبعه وفى كريم . هذا الحادث دفعه الى كتابة قصة مسرحية فكاهية سماها (ميليت) مستمدا قواعد الفن من نفسه وذوقه ، ثم سافر إلى باريس وفى جيبه فصول القصة الخمسة ، ولم يجرؤ على تقديمها لممثلى « بيت بورجونى » المهرة النابهين ، وهو المسرح الوحيد الذى كان موجودا فى ذلك العهد . فقدمها فى تواضع إلى ممثلين مغمورين فقراء ، كانوا يحاولون تكوين فرقة وإنشاء مسرح صغير فى شارع « بتى بوربون »

مثلت هذه القصة فى عام ١٦٢٩ ودرت على المسرح الصغير رزقا كبيرا . ولكن الجمهور الذى اعتاد رؤية القصص التمثيلية المقتبسة أو المنقولة عن « لوب دى فيجا » الاسبانى وغيره والزاخرة بالدسائس والعقد ، وجد قصة (ميليت) سهلة بسيطة طبيعية ، ولم يرفى مؤلفها شاعراً كبيرا

ثم وضع كورنى فى عام ١٦٣٢ قصة فكاهية أخرى سماها (كليتاندر) وقال عنها بعد وضعها إن كل ما هو محتمل فيها الأسلوب ليس غير .

بعد هذه القصة يئس من الحصول على نجاح يرضيه فى الكوميديا

آب الربيع

آب الربيع وهذه الآثارُ   فى كل واد فضة ونضارُ

بشت لمقدمه الخمائل والربى   وتمايلت فى وشيها الأزهار

والياسمين نقيةٌ بسماته   ومن البنفسج نافح معطار

والورد فياض الخدود نضارة   ترنو اليه كواعبٌ فتغار

والطير تصدح فى الغصون يديرها   فى كل دور بلبلٌ هدار

آب الربيع .. فهل يؤوب أحبةٌ

صدوا عن القلب الحزين وجاروا

لما تجنوا قلتُ صدٌ ملاحة   ولدى المتيم تُطلب الأعذار

حسين شوقى

وشعر فى الوقت نفسه بيقظة العبقرية التراجيدية فى نفسه ، فاستعار من (سنيكا) الحكيم الرومانى موضوع قصة سماها (ميديه) وأخرجها فى عام ١٦٣٥ ، فأصابت بعض النجاح ولفتت نظر ريشليه الوزير الفرنسى المعروف ، وكان هذا الوزير يتعشق المسرح والتأليف المسرحى وإليه تنسب قصص أربع غيبت كلها فى تضاعيف النسيان . ويقال إنه لم يكتب هذه القصص وإنما كان يضع خططها ويشرف على كتابتها

وبهذه المناسبة نذكر أن مجد ريشليه الأدبى هو فى إنشاء مجمع العلماء (الأكاديمى فرانسيز) : ففى عام ١٦٢٩ اتفق جماعة من الأدباء على أن يجتمعوا مرة فى الاسبوع عند أحـــدهم للبحث والمناقشة فى الموضوعات الأدبية . هذه النواة المكونة بادىء ذى بدء من تسعة أشخاص ، كبرت سريعـا إذ انضم اليها أخصاء الكردينال ريشليه . ثم اتصل خبرها بهذا الوزير فرأى فى الحال بمهارة رجل الدولة الفائدة التى تجنى من إنشاء هيئة تضم رجال الأدب ، يجيزها أمر ملكى وتكون تحت رعايته ، فيضع بذلك يده القوية على جميع العقول الكبيرة فى فرنسا كما كاد يضعها على النبلاء والعظماء . وقد تم له ما أراد وصدر الأمر الملكى فى عام ١٦٣٥

اتجه نظر ريشليه الى كورنى كما قلنا ، ورآه جـديرا بالعمل معه فى تصنيف قصصه المسرحية ، فعرض عليه رغبته فى الانضمام الى « جماعة المؤلفين » وكانت مكونة من أربعة أشخاص يكتبون باسم الوزير . قبل كورنى ذلك لأنه شعر بالحاجة الى عضد قوى يعبد له الطريق ، واندمج فى هذه العصبة الصغيرة ، ولكنه كان حريصا على الاحتفاظ بكنوز عبقريته لنفسه

وفى أحد الأيام طلب اليه الوزير أن يضع الفصل الثالث لاحدى قصصه وفقا للخطة التى رسمها له فلم يوافق كورنى على هذه الخطة ، ودهش الوزير من جرأته واسترد منه شرف العمل معه ، وقال عنه : « ليس فيه روح العمل برأى غـــيره ! » أى ليس فيه روح الخضوع والذلة

نالت هذه الصدمة من نفس كورنى منالا كبيراً فعاد إلى روان ليجد بين أحضان أسرته متلسا من ألم الفشل ، واعتزم العدول عن التأليف المسرحى وهجر الشعر . ثم قابله ذات يوم مصادفة كاتب سر قديم للملكة (مارى دى مدسيس) يسمى (شالون) فنصح له بان يدرس بامعان شديد المسرح الاسبانى ، ولفت نظره إلى موضوع (السيد) وكان قد عولج فى أغان وطنية اسبانيـة وفى قصتين من نوع التراجيدى : إحداهما (لدون جوان ديامانت) والأخرى (لجيلهم دى كاسترو)

قرأ كورنى القصتين . وخلال غرابة التركيب وضعف الأسلوب استخلص حدثا دراميا ، ومواقف رائعة ، وأفكاراً خلابة : استخلص من التراب تبراً نقيا ، فوضع أول قصصه الخالدة وهى (السيد) المشهورة ، أول درة فى تاج المسرح الفرنسى فى عام ١٦٣٦ .

وقد أثارت هـذه القصة فى نفس ريشليه الغيرة والحسد ، ولكن كورنى تعزى بتصفيق الاعجاب الذى ناله من فرنسا كلها ، وبلغ من نجاح هذه القصة أن أصبح الناس يقولون : هـذا جميل كالسيد . وانتشرت هذه الجملة حتى عدت من الأمثال العامة . وقد سخر (بوالو) الشاعر والناقد الفرنسى فى ذلك الوقت من حسـد ريشليه فقال : « عبثا يثور وزير على السـيد ، فكل باريس تنظر الى شيمين بعينى رودريج (شيمين بطلة القصة ورودريج بطلها ، وكان بينهما حب شديد رائع) . ولكى يطفىء ريشليه غلة حسده أوعز إلى مجمع العلماء أن يسفه القصة ، فأعلن مكرها أن موضوع القصة تافه ، وهذا مديح أفلت من فم المجمع خلسة ، لأن كورنى استطاع بعبقريته أن يجعل من الموضوع التافه قصة رائعة استدرت اعجاب الناس فى عصره واستهوت نفوس الاجيال المتعاقبة .

وقال أكثر خصوم كورنى لؤما ان الجمال الذى يعجب به الناس فى القصة لا يد لكورنى فيـــه ، وانما هو (لدى كاسترو) الاسبانى . وقد نال هـذا القول من نفس كورنى أكثر ممـا نال منها رأى مجمع العلماء الذى دحضه وسحقه نجاح القصـة فى طول البلاد وعرضها . فبحث فى التاريخ القديم عن موضوع يخلق منـه قصة هامة ، فعثر فى (تيت ليف) المؤرخ الرومانى المشهور على تاريخ الموقعة التى حدثت بين آل هوراس وآل كورياس . وأخرج من هذا الموضوع قصته العظيمة (هوراس) فى عام ١٦٤٠ . وفى السنة عينها أخرج قصة (سنا) أو رحمة أغسطوس التى نالت أكبر قسط من النجاح ، وفى عام ١٦٤٣ أخرج (بوليكت) و(بومبيوس) و (الكذوب) وكلها قصص خالدة أبلغته قمة المجد والعظمة . وعقب قصة (السيد) منح الملك لويس الرابع عشر والد كورنى لقب الشرف ووثائق النبل ، ثم دخل الشاعر مجمع العلماء فى عام ١٦٤٧

استمر بعد هذه القصص التى ذكرناها والتى بنت مجده على أسس متينة ، يصنف القصص التمثيلية وأخرج كثيرا منها ، ولكنها لم تبلغ الدرجة العلية التى بلغتها القصص السابقة وفى عام ١٦٥٢ أخرج

للناس قصته (برتاريت) فلم تنجح .

اشتد عليه هذا الفشل الأليم وهو الشاعر الكبير الملحوظ المنزلة فلزم الصمت سبع سنوات قضاها فى روان مع زوجه (وكان قد تزوج فى عام ١٦٤١) وأولاده الثلاثة . ثم شاءت المصادفة أن يزور (موليير) الشاعر وفرقته روان ويمثلون فيها بعض كوميدياته . ولما شاهد كورنى التمثيل انتعش فى دخيلته الحنان إلى المسرح . فعاد اليه فى عام ١٦٥٩ أمام جيل جديد من النظارة بقصته (أوديب) فقوبلت مقابلة حسنة . ثم أخرج بعدها عدة قصص ولكنها فشلت كلها . ويقال إن سبب الضعف الذى ظهر فى قصصه الأخيرة يرجع إلى إفراطه فى العمل وإجهاده القريحة والعجلة فى التأليف ، لأنه كان فى حاجة شديدة إلى المال بعد ما استنفدت تربية أولاده كل موارده المالية . ولكن الحقيقة أنه كبر ومالت قوة ذهنه إلى الاضمحلال والركود . يدل على ذلك قوله : « شعرى ذهب مع أسنانى » نعم استطاع هذا الشعر أن يستريح بعد كثير من الآثار الخالدة التى تقص على القرون غرام رودريج وبطولة هوراس ورحمة اغسطوس واستشهاد بوليكت . وفى الوقت الذى بدأ فيه نجم كورنى بالأفول ، كان نجم راسين يعلو ويسطع ويزدهى الناس إعجابا وطربا . وفى عام ١٦٧٠ عرضت هنرييت أخت زوج لويس الرابع عشر على كورنى أن يضع تاريخ (برنيس) فى قصة تمثيلية . وكان راسين فى الخفاء يعالج هذا الموضوع وهى تعلم ذلك . وأخرج الشاعران القصة فى وقت واحد فنجحت قصة راسين نجاحا كبيرا وسقطت قصة كورنى سقوطا مروعا . وفى عام ١٦٨٣ باع كورنى منزله فى روان إذ استبد به العسر . وكان لويس الرابع عشر قد قرر له معاشا سنويا قدره ٢٠٠٠ دينار بعد وساطة الشاعر شابلان ذى الحظوة لدى الملك . ودفع هذا المعاش بغير انتظام ثم ألغى . وقد شعر (بوالو) بحالة كورنى فقابل الملك ورجا منه أن يدفع المعاش للشاعر المسكين بانتظام فقبل رجاءه . ومن حسن حظه أنه مات فى ليلة أول أكتوبر عام ١٦٨٤ بعد أن ذاق مرارة الفاقة فى شيخوخته ، والشقاء هو الفدية الضرورية للعبقرية .

وقد قام مجمع العلماء بنفقات دفنه ، وكان مديره إذ ذاك القسيس (دى لافو) ولا تنتهى مدة عمله إلا فى آخر أكتوبر من ذلك العام . وجرت العادة أن يؤبن مدير المجمع ، العضو الذى يموت . وكان راسين هو الذى سيعين مكان القسيس ولذلك حدثت بينهما مشادة إذ كان كلاهما يريد أن يحظى بهذا الشرف . وتمت الغلبة فى النهاية للقسيس . ثم عين (توما كورنى) عضوا فى مجمع العلماء بعد موت شقيقه ، فاهتبل راسين هذه الفرصة وأثنى أجمل الثناء على ذكرى منافسه العظيمة . وإن خطبته فى ذلك المقام لهى فخر لعبقرية الميت وكرم الحى . وسنذكر نبذة من هذه الخطبة القيمة عند الكلام عن حالة المسرح الفرنسى قبل كورنى

مظاهر ومواهب ومزاهب

كان حساد هذا الشاعر العظيم كثيرين . فلما مات لم يروا فيه غير الشاعر العبقرى الذى خلق أروع القصص ، وجاءهم بآيات فى البلاغة بينات ، ووضعوه فى مكانة أعلى من المكانة التى كان يشغلها أيام مجده . ومن الغريب أن مدينة روان لم تقم تمثالا لأشهر أبنائها إلا فى عام ١٨٣٤ !

وكان معاصروه من كبار الأدباء لا يستطيعون إنكار قوة ذهنه وعذوبة شعره ومتانة قصصه . ومنهم لابروبير وبوالو ومدام دى سفنيه . وهـــذه كانت تصيح فى كل مجلس قائلة : « ليحى صديقنا القديم كورنى ! إن كتبه آثار أستاذ لا يجارى ولا يقلد ! إنها الذوق السليم نفسه ! » . وكان هو نفسه يؤمن بعبقريته ويتحدث بها فى عزة الرجولة وصراحة كريمـــة تفضل التواضع المصطنع الذى لا يخدع أحداً ولا يخفى ما وراءه من زهو خلق . وقد بقى وفيا لخلقه المزيج من البساطة والكرم والخجل والشجاعة والوداعة والسمو ، حتى استوفى أنفاسه .

ونستطيع أن نقول إن كورنى قلب كبير ونفس جميلة . والدليل القوى على ذلك هو ما تركه لنا من الآثار الجليلة ، وكل العواطف السامية التى يجدها القارىء فى قصصه ، مصدرها قلبه ونفسه ليس غير .

كانت الأخلاق فى عصره هابطة ، والبطولة نادرة ؛ فلما جاء عمل على إيصال القليل من حرارة الشعلة التى تحركه الى خمود معاصريه ، فتنبهت قلوبهم وهبت تخفق على توقيع ألحانه .

يقال دائماً إن الشاعر لا يصور إلا معاصريه ، وإن كورنى استمد موضوعاته من العادات والأخلاق التى كانت تحت بصره . هذه قاعدة صحيحة بالنسبة للآخرين ، ولكنها لا تنطبق على كورنى لأنه كان يصور الناس كما يجب وكما يجب أن يكونوا ، أى كان يصورهم على طراز نفسه العالية .

ومن يقرأ كتب هذا الشاعر يجد أن الرغبة فى جعل الارادة تتغلب على كل الصعاب والعقبات من عناصر البلاغة الخاصة بكورنى ،

ويجد أن أبطاله سواء أكانوا يريدون قهر أنفسهم أم قهر غيرهم ، يبذلون جهدهم فى إقامة الدليل الذى يبرر إرادتهم وعملهم . وهم يشرحون حساسيتهم فى شعر له نغمات الناى الساحرة ، ويعبرون عن إرادتهم فى لهجة خطابية . ولذلك يلذ لهم الحوار الطويل والمنطق السليم الذى يؤرث إرادتهم الخائرة ، والبرهانات القاطعة التى تنتصر على ترددهم . وهم فوق ذلك وفى كثير من الأحايين يريدون أن تقر ضحاياهم أعمالهم وتوافق عليها . وكذلك نجد (رودريج) فى قصة السيد يريد أن يجعل صاحبته (شيمين) تؤمن بأن قتل أبيها الكونت (دى جورماس) كان واجباً عليه . ونجد فى قصة هوراس أنه أراد أن يجعل (كورياس) يؤمن بأن من واجبه قتله . وكذلك فى (سنا) تحاول (راميلى) صاحبة (سنا) أن تجعل الامبراطور (أغسطوس) يعتقد أن واجبها يأمرها بتدبير مؤامرة لاغتياله .

قلنا إن كورنى كان عييا فى حضرة الناس ، ولكنه كان خطيبا بلسان أبطاله وفى كل قصة نجد أن الحوادث هى نتائج قرارات الأبطال ومشيئتهم . فنى هوراس وسنا مثلا لا يحدث حدث إلا برغبة أبطال القصة ، فالامبراطور أغسطوس بعد أن عرف أن صديقه سنا يأتمر به ليقتله كان فى مقدوره إذا أراد ، ان يعاقبه بدلا من الصفح عنه ، فالارادة فى مسرح كورنى هى نابض الحركة الوحيد ، لأنه كان يعتقد أننا فى الحياة سادة حظوظنا . وهذا ما يجعل لهذا المسرح قيمة خلقية فريدة ، وإن جعل الفعل الدرامى معلقا على مشيئة الأبطال ، لهو فى الحقيقة تخفيض لنصيب الظروف أى تبرئتها مما تتهمها به . وليس هذا حقيقة خالصة ، ولكن كورنى أراد بذلك أن يرغب الناس عن التواكل والاستسلام ويربى فيهم الاعتماد على الارادة

ولكى نحكم حكما صحيحا على كورنى ، يجب ان نضع نصب أعيننا دائما أنه المؤسس الحقيقى للتراجيدى الفرنسية . كثير غيره جاؤا بعده ، متزودين بدروسه ومنهاجه ، فاتلوه أو بذوه ، ولكنه بقى استاذ هذا النوع . إنه هو الذى ابتكر استعطافا جديدا يقوم لا على الفزع والشفقة ، ولكن على الاعجاب ، الاعجاب بالمواقف ، والاعجاب بالخلق ، والاعجاب ببطولة الواجب وروعة التضحية . وهو الذى حدد شكل التراجيدى الفرنسية وجعلها « قضية أخلاقية توضع بواسطة العرض ، ثم تحصل المناقشة فيها بواسطة انقلابات الحال ثم تحل فى الختام » . وعبقريته هى التى جعلت التراجيدى تحليلا نفسيا لشهوة من الشهوات تتدرج فى طريقها حتى تصل الى العنف والحدة ثم الى النتائج الأخيرة

أثر كورنى فى التراجيديا والادب

كانت التراجيديا قبل كورنى محاورات طويلة . وكان واضعوها يصورون الوالد والولد والزوج فى ظروف شخصية خاصة محدودة . ولكن كورنى صورهم بطريقة عامة أى صور المثل الأعلى للوالد والولد والزوج

قال (سانت بيف) بحق « إن كورنى هو الشاعر الجدير بأن يعاصر الفيلسوف (ديكارت) . كان الفيلسوف يبرهن على وجوده بالفكر فيقول : « إنى أفكر ، اذن أنا كائن . وكان الشاعر يبرهن بالفكر على الحساسية المحركة والحياة ، فكل شخص فى قصصه يقول إنى افكر ، إذن أنا شاعر حى »

وكل ما يعاب على كورنى أنه لم يصور المرأة فى قصصه تصويرا طبعيا . وذلك لأنه لم يحب قط ، ولم يسبر غور القلب النسوى ، وكل أبطاله النساء لا تمت الى الطبيعة الا بصلة ضعيفة لأنه خلقهن من إدراكه لا من تجربته وملاحظاته

كان كل همه أن ينتج الاعجاب بالفضائل . وقد بلغ غايته بجعل الواجب يناضل الهوى ثم ينتصر عليه . أى أنه بلغ غايته بتصوير البطولة أحسن تصوير . وهذه الغاية أرغمته فى بعض الأحايين على أن يبالغ فى قوى أشخاصه ويعلو بهم فوق الضعف الانسانى ليحيلهم الى ابطال

وقد أعجب (فولتير) فى القرن الثامن عشر بكورنى إعجابا شديدا ، حتى إنه تبنى بنت أخته وزودها بمهر ثم زوجها . ونشر كتب كورنى وشرحها ، وقال فى المقدمة : « الشرح الوحيد لكتب كورنى يجب أن يكون بكتابة هذه الكلمات فى أسفل كل صحيفة : جميل . جليل . إلاهى ! »

وطبعى أن ينهض كورنى بالمسرح الفرنسى لأنه جاء فى عصر زاهر مهيأ لهذا النهوض . إن المسرح من أنفع وأنبل ما ابتكر العقل الانسانى لتهذيب العادات وصقل الخلق . لا يمكن أن يصل الى كماله الا عند ما تبلغ الجماعة نفسها قمة مدنيتها . ولهذا يتكون الفن الدرامى دائما فى بطء بينما يظهر الشعر الحماسى والغنائى فى طفولة الامم بقوة أكثر مما يظهر بها فى عصر نضجها . لأن شعراء الملاحم والغناء يستطيعون أن يسلموا أنفسهم الى جرأة عبقريتهم ، وبهذه

الجرأة يسبقون القرون . أما شعراء الدراما ، ومهمتهم كما نعلم تهذيب الجماهير وإشعال الحماسة فى نفوسهم ، فانهم مرغمون على أن يلائموا عبقريتهم مع عادات العصر الذى يعيشون فيه . ولذلك نرى أن الجماعة التى لم تبلغ شأوا بعيدا فى المدنية ، لا يشغل المسرح من أدمها الا مكانا ثانويا . فاذا اقتربت من نضجها ، أخذ المسرح مكانه فى الصف الاول من مدرسة الادراك . وهـذا ماحدث فى فرنسا فى القرن السابع عشر ، وماحدث فى بلاد الاغريق قبل أن يأتيهم سفوكليس وأوريبيدس وأريستوفان وإسخيلوس . فقد كان للفرنسيين جودل وبايف وهاردى قبل ان يكون لهم كورنى وموليير وراسين

وإلى القارئ نبذة من خطبة راسين التى أستقبل بها (توما كورنى) لما صار عضوا فى مجمع العلماء . تلخص رأى هذا الشاعر فى حالة المسرح الفرنسى قبل كورنى ورأيه فى كورنى نفسه : « أى اضطراب وأى شذوذ كان يسود المسرح قبل كورنى ! كان الذوق مفقودا ومعرفة الجمال المسرحى مجهولة . وكان الجهل المعيب يجمع بين المؤلفين والنظارة . وكانت جل الموضوعات تحمل سمة الهوس ، وعارية من الصدق . وكانت الألفاظ نفسها أكثر قبحا من الحوادث . وخلاصة القول ، إن قواعد الفن حتى قواعد النزاهة والآداب كانت فريسة الفتك والعدوان ، فى هذه الطفولة أو على الأرجح وسط هـذا العماء الذى كان يخيم على الشعر الدرامى فى بلادنا ، جاء كورنى . وبعد أن جاهد وناضل الذوق الدميم مزوداً بسلاح العبقرية ومعتزاً بقراءة القدامى ، أظهر على المسرح العقل تحف به أبهة اللغة وروعة البيان ، فطغى صوته على صوت منافسيه فأخفاه . ولما يئسوا من بلوغ مكانته عمدوا الى تسفيه كتبه ، وحاولوا أن ينالوا بالنقد الطائش من جدارته ، ولكنهم فشلوا وحاق بهم مكرهم السيء . السيد وسنا وهوراس ، ملأت الاسماع وهزت أوتار النفوس وترجمت إلى عدة لغات ، وستظل حية على مر العصور فى أفواه الناس ، كورنى فن وقوة وبراعة ، وخصوبة ونبل وعظمة » .

هذا كلام راسين الذى كان ينافس سلفه ، وهو قول حق .

وعند ظهور كورنى ، كان قد مضى على الناس ما يزيد على مائة عام وهم يعالجون التفكير ويتألفون الشعر والنثر دون أن ينجحوا النجاح المرجو . وعبثاً نهبوا مؤلفات الأقدمين ومسخوها ، وعبثاً سرقوا من لوكريس وفرجيل وهوراس وسنيكا أو من الايطاليين والاسبان . وعبثا انتحل كتاب النثر لأنفسهم من سيسرون وبلوطارخوس . ثم جاء كورنى وديكارت فحررا اللغـة والفكر الفرنسى من ربقة الاغريق والرومان ، فهما أول من أعطى الادب الفرنسى صبغته الخاصة وطابعه القومى . فالسيد و(رسالة فى المنهج) لديكارت يعينان عهداً جديداً فى تاريخ الأدب والفكر الفرنسى . فقد كسرا أغلال اللغة وكانت أسيرة فى أطلال اللاتينية ، وأنقذا الفكر من محنته وكان يريد ذلك ولا يستطيعه . وبفضلهما وجـد فى أوربا كلها بين كل الذين يقرأون ويكتبون أداة عامة جديدة للتفاهم : هى لغة ديكارت وعلى الأخص لغة كورنى التى سادت من عام ١٦٤٨ تحرير معاهدات التحالف والصلح ، وأصبحت آخر الأمر اللغة الوحيدة تقريبا للأدب والفلسفة والعلم . وكما يفخر الرومان بأن عصر أغسطوس أنتج هوراس وفرجيل ، كذلك يفخر الفرنسيون بأن عصر لويس الرابع عشر ، أكبر ملك حكمهم ، أنتج أكبر شاعر لهم وهو كورنى

ونختم هذا المقال بكلمة نابليون الأول : « القصة التمثيلية تشعل النفس ، وتسمو بالقلب ، وتخلق دون ريب أبطالا . وإنى أجهر بأن فرنسا تدين لكورنى بجزء كبير من أعمالها المجيدة . إن القصص التمثيلية مدرسة عالية لعظماء الرجال ، ومن واجب الملوك تشجيعها ونشرها . ولو كان كورنى حيا فى زمنى لجعلته أميرا »

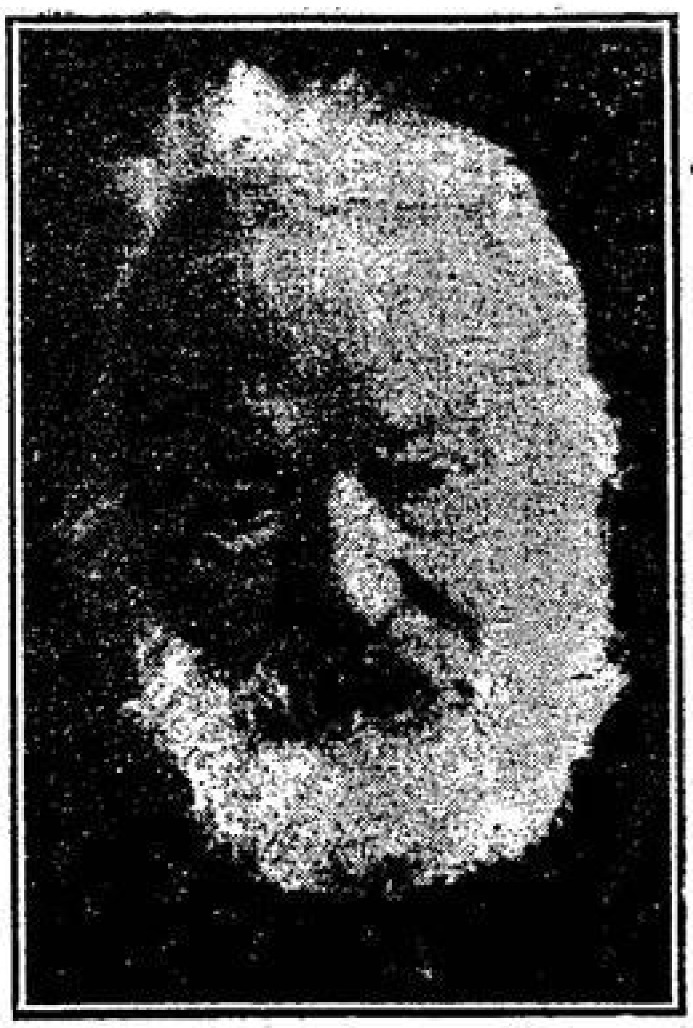
وما قيمة اللقب الرسمى فى جانب اللقب الذى ناله من الشعب وهو كورنى العظيم ؟ ! ولماذا وهبه الشعب هذا اللقب ؟ لأنه جاءهم بقصته السيد ، وهى الحب فى أجمل أثوابه ، وبقصته سنا ، وهى السياسة فى أسمى أشكالها ، وبقصته بوليكت ، وهى الدين فى أروع مظاهره ، والحب والسياسة والدين هى « ثالوث » القلب الانسانى .

حسن صادق

البـــؤساء

لفكتور هوجو

في سنة ١٨٦٢ أخرج فكتور هوجو روايته الخالدة «البؤساء» وكان قد لبث مدى ثلاثين عاما يفكر في أن يكتب كتابا في صنوف البؤس التي يعانيها الشعب ويستجمع له شوارد نظرياته الاخلاقية والسياسية فلم ينضج مشروعه الا بعد أعوام طويلة من التأمل والبحث، وكان



مشروع كتابه الأول يتألف من أربعة أقسام بسيطة هي :

قصة قديس (وهو الراهب ميريل) وقصة رجـــل (وهو جان فالجان) وقصة امرأة (وهي فانتين) ثم قصة دمية (وهي كوزيت)

ونظم فكتور هوجو هذه الأقسام الأربعة في سلك رواية طويلة متناسقة ساحرة البيان والمعنى ، تثير في كل موقف من مواقفها وكل صفحة من صفحاتها أسمى العواطف الانسانية ، وتبعث فيه كوامن الاشفاق والرحمة . فاسم « البؤساء » وحده يستدر منا الاشفاق ، الاشفاق على جان فالجان الذي دفعه البؤس وحده الى سرقة رغيف من الخبز ، والذي ينبض فيه قلب رجل خير كريم مخلص ، والاشفاق على فانتين تلك الفتاة المسكينة التي أغويت ثم نبذت والتي تبيع حتى شعرها وأسنانها لتطعم ابنتها ، ولا تبيع شرفها الا نزولا منها على حبها الاموي ، والاشفاق على تلك الصغيرة المسكينة التي تعاني على يد أسرة تارديه أمر ضروب الاضطهاد والذلة ، ثم الاشفاق والحب نحو البؤساء والمساكين الذين يمثلهم القس ميريل ، وصلابة الواجب الذي يفهم على غير وجهه في شخص الشرطي جافير

وهيكل القصة الاول بسيط مؤثر ، فهو يتلخص في مكث جان فالجان بالمنفى وفي تحريره ، وفي توبته وعيشته عيشة رجل خير محب للانسانية في معمل للزجاج ، ثم موت العاملة فانتين ، ودخول ابنتها كوزيت في أسرة تارديه ، ثم قضية شان ماتيو واتهام جان فالجان لنفسه وتسميه باسم مادلين ، ثم اعادته الى المنفى حيث يفر فيطارده الشرطي جافير ويلتجىء الى محلة « بتي بكبيس » . وتسير القصة بعد ذلك في نسق رواية بوليسية يتخذ معظم أشخاصها اسماء مستعارة وتكثر فيها المفاجآت الغريبة وتأخذ القارىء أخذا عنيفا بمواقفها الشائقة .

وقد عني فكتور هوجو بأن يلزم جانب الحقيقة دائما في قصته وأن يقدم فيها القارئه أشخاصا حقيقيين واوصافا دقيقة ، وحوادث معقولة ، فاما القس ميريل فهو يمثل شخصية حقيقية عاشت وعرفها فكتور هوجو ودرسها منذ سنة ١٨٢٩ وهي شخصية المونسنيور ميوليس أسقف « ديني » . وكان المونسنيور ميوليس قد آوى ذات يوم مجرما بائسا يدعى بيير موران وحمله على التوبة وانتهاج سبيل الخير . وقد وقعت معظم الحوادث التي يقصها فكتور هوجو حقيقة في اسقفية « ديني » سنة ١٨٠٦ ، وهي حوادث يلخصها الواعظ انجلان فيما يأتي : — « في ذات يوم من أيام سنة ١٨٠٦ ، دخل بيير موران وهو مجرم أفرج عنه ، مدينة ديني نحو الساعة الخامسة مساء بعد أن قطع يومه سائراً ، وكان في السادسة والعشرين من عمره ، فلفارده جميع أصحاب الفنادق ، وأنهكه الجوع والتعب ، فقصد بناء على نصح سيدة عجوز ، باب الاسقفية وطرق الباب طرقا عنيفاً ، فلبث الاسقف هادئا ، ونزلت خادمته روز الى شاحبة مضطربة وهي تقول — رباه ! من ذا الذي يطرق بهذا العنف ؟ ودخل بيير موران ، ولم يكن في هيئته مايطمئن ؛ ومع ذلك فقد كان يبدو عليه الوجل والحيرة وعذاب المسغبة ، وكان وجله يتعارض مع كتفيه العريضين ووجهه القوي ، وكان جبينه ينضح عرقا ؛ فراعه محيا القس الوديع وغمغم بعبارات لاتفهم ، فهدأ القس روعه وخاطبه بتلك البساطة التي تذهب الى أعماق النفس ؛ وقدم اليه العشاء وهيئت له غرفة للنوم ... » وشعر بيير موران أنه قد تغير وغدا شخصا آخر ، فدخل ممرضا بمستشفى متنقل ؛ وكان قويا متين البنية مثل جان فالجان ، فكان يؤدي عمله كالابطال ، وحمل بين يديه ضابطا جريحا ، ثم عاد بعد ذلك الى منزل القس وأحب ابنة أخته وخادمته روزالي ، ولكنه لم يجرؤ على طلب يدها ، فاختفى وقتل في موقعة واترلو

البقية في الصفحة المقابلة

العلوم

ماء جــديد

للدكتور احمد زكى

الماء من أقدم أشياء هذا الوجود ، فهو لا شك سبق الانسان وسبق الحيوان ، ولا شك سبق النبات ، أليس من الماء كل شيء حيّ ؟ هكذا قالت الكتب السماوية ، وعليها أمّنت الكتب الفلسفية فالعلمية . وقد أدرك خطر الماء الحكماء فى العصور الخالية ، فعدّوه رابع أربعة من جواهر حسبوا الكون بما فيه تكوّن منها ، ومنها فحسب ، بنسب تكبر وتصغر فيتألف منها الجسم الذى ترى بخواصه التى تعرف . وجرت على هذه العقيدة قرون تلتها قرون . حتى جاءت الكيمياء الحديثة بعناصرها ومركّباتها ، وجاءت بجزيئاتها وذرّاتها ، فأفسدت على الحكماء حكمتهم ، وطاحت بالأصول الأربعة التى فرضوها على الوجود ، وأثبتت أن الماء مركب من عنصرين : الأيدروجين والأكسجين ، بنسبة وزنيّة ثابتة . نعم قد يتغير الماء لوناً وطعماً وكثافة ، فقد يتملّح وقد يتطين وقد يتغوّز ، فالغازات تذوب فى الماء كما تذوب الأملاح ، ولكن إيت بالماء من الأرض أو من السماء ، على أى حال تشاء ، ثم رشحه من أوساخه ، وقطّره ليخلص من أملاحه ، واتبع لنقائه أموراً أخرى عديدة تجــدها فى مفصّلات الكيمياء ، ثم حلّله تجد نسبة الأيدروجين الذى فيه الى الأكسجين ثابتة لا تتغير .

هذه بديهة من بدائه الكيمياء ، فرغ منها العلماء من زمن ، أو حسبوا انهم فرغوا منها . بديهة تسئمك قراءتها لاشك ، كما تسئمنى أنا كتابتها ، لولا أن البدائه كثيراً ما تنتابها الشكوك فتعكر عليها سيرها الهادىء فى هذا الوجود المضطرب ، حتى بدائه العلم .

ان الايدروجين أخف الغازات المعروفة ، وذرته أخف الذرات . ومن أجل هذا اتُّخِذ وزن ذرته وحدة تقاس بها ذرات العناصر جميعا . ولكن هذه العناصر إن اتحد بعضها بالايدروجين فأمكن ايجاد ذرته ، فان الكثير منها لا يتحد به وانما يتحد بالاكسجين ، فيمكن عندئذ احتساب وزن ذرته منسوبة الى ذرة الاكسجين ، ولكن المراد نسبتها الى الايدروجين حتى يكون أصل النسب واحد ، فكان لابد من احتساب كم من الايدروجين يتحد بكم من الاكسجين ، واحتساب ذلك بدقة كبيرة لان هذه النسبة سيتوقف عليها ضبط نسب أخرى عديدة .

اتجه الكيماويون الى احتساب هذه النسبة الخطيرة ، وهى النسبة التى يتكون بها الماء الذى تشربه وأشربه ، وفى كل عقد

ولم يقتصر فكتور هوجو على أن يتحرى الحقيقة بالنسبة لابطال روايته ، ولكنه ذهب الى تحريها فى أوصافهم واخلاقهم وفى الاوساط والبيئات التى عاشوا فيها مستندا فى ذلك الى وثائق دقيقة . وتبدو عنايته الشديدة بالبحث والدرس حينما يقص حوادث موقعة واترلو ، فقــد زار مسرح الموقعة الشهيرة ودرس خططها وأماكنها وأوضاعها ، ورجع فى حــواشيها الى تواريخ العصر وسيره ووثائقه .

والحقيقة أن « البؤساء » أكثر من رواية وأعظم من قصة ؛ « فالبؤساء » بموضوعها واوصافها قصيدة رائعة للبؤساء ، ترتفع الى السمو ، وتشدو فيها العواطف البشرية ، ويمثل شدوها فى صورها ؛ هى تنبؤ بليغ حى ، هى نوع من الوعظ الدنيوى يضطرم بنبرات رسول ؟

وفى كل عام يخرج الباحثون بنسب متقاربة كل التقارب ، الا أن بينها فروقا صغيرة لا تفتأ تظهر عند الحساب ! خطأ فى الميزان يا صديق ، وفرق لا بد منه ما دامت يد الانسان العاجزة تقوم بهذه التقادير ، وأجهزته الناقصة هى كل حيلته فى الوصول الى بغيته . حسّنوا الاجهزة ، ودققوا فى صنع الموازين ، واتخذوا كل حيطة انسانية لمنع الخطأ أن يتسرب ، ولكن هيهات أن تتفق الارقام الناتجة .

حتى كان يوم قريب قدّروا فيه هذه النسبة من جديد ، فتبين لهم من الأسباب ماحملهم على الاعتقاد أن الخطأ ليس فى التقدير ، ولا فى عجز الانسان ولا فى نقص أجهزته ، ولكن فى الفرض الاساسى الأول : إن ذرة الايدروجين ثابتة الوزن ، وان ذرة الاكسجين ثابتة الوزن

عرفت الكيمياء فى السنوات الحديثة أن العنصر الواحد قد تتشكل ذرته أكثر من تشكل واحد . فالزئبق والكلور والبروم والكربتون والزينون وكثير غيرها لكل منها شكلان فأكثر تتفارق فى الوزن تفارقا صغيرا وتتقارب فى الخواص تقاربا كبيرا . واذن فلم لا يتشكل الايدروجين أو الاكسجين أو كلاهما مثل هذا التشكل ؟ لم لا يكون للايدروجين ذرتان ، ذرة خفيفة وذرة ثقيلة ، واذن لم لا يكون للماء جزيئان ، جزيء خفيف وآخر ثقيل ، أعنى لم لا يكون الماء مائين ، ماء ثقيل يليق بالخلاقيم الغليظة للجنس الخشن من الرجال ، وماء خفيف يتفق والجنس اللطيف من الألى يدميهن الحرير ويؤذيهن النسيم

العلم يتخيل فيخال ، واذا بالخيال حقيقة . وتلك الحقيقة أثبتها الأستاذ لويس Lewis ، وذلك بأن أمرّ التيار الكهربائى فى الماء يحلله على ما هو معروف الى عنصريه ، فأثبت أن الايدروجين الخفيف هو الذى يصعد من الماء أولا ، وأنه عند ما يتحلل أكثر الماء تتبقى منه بقية صغيرة هى الماء الثقيل الذى يحتوى الايدروجين الاثقل

أعيدت هذه التجربة بصورة أكبر فتتج عنها « ماء ثقيل » أكثر تركزاً . وخالوا ان الذى يأتى به التحليل بالكهرباء يأتى به التقطير بالنار ، فقطروا الماء فحصلوا على نفس النتيجة . كم من ألوف حللوا الماء ، وكم من ألوف قطروه فى الاجيال المنصرمة ، وفاتهم جميعاً كنه ما يصنعون .

ومن الغريب أن هذا الماء الجديد سم . نعم سمّ برغم أن الماء أصل الحياة . وضعوا فيه فراخ الضفدع فماتت فى ساعة ، ووضعوا فيه سمكا فمات فى ساعتين ، ووضعوا فيه دوداً فمات فى ثلاث . ولكن بالطبع كان هذا « الماء الثقيل » مركزاً تركيزاً كبيراً ، فقد كان تركيزه ٩٢ فى المائة . ولما أضافوا اليه « الماء الخفيف » حتى بلغ تركيزه دون الثلاثين فى المائة عاشت فيه كل هذه الاحياء . « والماء الكثيف » يوجد فى ماء الشرب العادى بقدر جزء واحد فى كل ٢٥ ألف جزء أو نحو ذلك . فهو لا أثر له فى الانسان . بل على النقيض قد يكون فيه نفع له . أليس كثير من العقاقير كالزرنيخ والاستركنين سما زعافا . ومع هذا يعطى للمرضى بمقادير صغيرة فيكون فيه الشفاء من أدواء ؟ على أن أثر هذا الماء الجديد فى الاحياء الراقية ومنها الانسان لم يمتحن بعد ، فالحصول على المقدار الكافى منه لا يزال عملا عسيرا .

ويختلف « الماء الثقيل » فى خواصه الطبيعية عن الماء العادى ، فهو لا يتجمد على درجة الصفر المئوية بل فى نحو درجة ٤ ، وهو لا يغلى على المائة بل على نحو درجة ١٠١ . فاذا ذكرنا أن درجة الصفر ودرجة المائة ان هى الا درجات اصطلاحية ، تعريفها أنها درجة تجمد الماء ودرجة غليانه على التوالى ، حق لنا أن نبتسم ابتسامة خفيفة لما حاق بعلم الحرارة من اخلال بأساسات مقاساته ، وقد كان عدّها الفيزيائيون ثابتة تتزعزع الجبال وهى لا تتزعزع

ونال الفيزيائىّ غير هذا اخلالٌ جديد فى أساس أوزانه . فالجرام ماهو ؟ اليس هو وزن سنتيمتر مكعب من الماء ؟ ولكن أى ماء ، ثقيله أم خفيفه ؟

البقية فى الصفحة المقابلة

القصص

قصة شامية ريفية

المجنــــونة

للاستاذ على الطنطاوى

قالت ربة المنزل ، وقد حفّ بها اولادها واحفادها ، وجلسنا نحن على مقعدين نصبوهما لنا فى صدر الغرفة :

اصغوا الىّ فانى قاصة عليكم الليلة قصة واقعة . شاهدت حوادثها بعينى رأسى . ولا يزال أشخاصها احياء يرزقون ، وليس كل ما تمتاز به انها واقعة ، ففى الواقع كثير من التوافه ، ولكنها تمتاز بأنها مؤثرة وان فيها عبرة .

***

كنت صغيرة . لا أكاد أدرك ...

— إذن فالقصة منذ ستين سنة على الاقل !

فرمت المرأة صديقى بنظرة تأنيب على هذه الاهانة التى تلقاها

على أن هذه اختلالات لا تؤثر فى حوائج العلم العادية ، ومطالب الحياة الجارية ، فعين الانسان قاصرة ، ترى الكون كتلا كبيرة ولو ظنتها جسيمات صغيرة ، ويده تحس الكون كذلك كتلا ، وأنفه يشم الكون اجمالا لا تفصيلا ، وأذنه تسمع انغامه وتظن انها تستطيع ادراكها نغمة نغمة ، ولو ان كل نغمة منها أنغام تحتوى أنغاما ، وهو مستمتع فى كل هذا بقصور حواسه ، قانع برؤية الوجود غبشا وضبابا ، مادام لا يحس أنه غبش وضباب ، فلننس ما كان من تحقيق العلماء وتدقيقهم ، ولنشربه زلالا سائغا خفيفه وثقيله ، وعلى الدنيا وعلى العلماء العفاء .

أحمد زكى

بها ، واستمرت فى حديثها :

... كنت بنت سبع سنين يوم دخل « رظا » افندى البلد . وإنى لأذكر ذلك بوضوح على رغم طفولتى وقدم العهد ... لأن بلدنا كان يومئذ معتزل العالم ، وكان مرور الجند فى البلد . أو زيارة غريب أو سفر أحد الفلاحين الى دمشق . يعد حادثا تاريخيا يلهج به الفلاحون شهورا . ويتخذون منه مادة لاحاديثهم فى أسمارهم ، وكان اليوم جمعة فلم يرع الناس وهم منصرفون من الصلاة الا شبح شخص يلوح فى الحرة (١) المحيطة بالبلد ، ثم بدو واضحا واذا هو رجل طوال منحن يمسك بيمناه عصا طويلة قد علق بها صرة كبيرة ، ويجر بيسراه طفلة له ، وكانا يجدان عناء فى تسلق هذه الصخور والقفز على هذه الاحجار السوداء الحديدة الجوانب ، حتى أن الطفلة سقطت أكثر من مرة . فكان الرجل يقيلها ، ويصب فى أذنها كلمات حلوة معسولة ، ويشير لها الى البلد ، فتعاود المسير يحفزها أمل بارق ، فى ظلام من اليأس

تجمع الناس فى رحبة البلد ، ينظرون اليهما ، وتطوع فريق منهم للاخذ بايديهما ومساعدتهما ، وأخذ رجل حماره ليركبهما ، وعمد آخر الى شىء من الخبز والجبن وقمر الدين فاخذه اليهما زاعما انما قد حطمهما الجوع ، وحملت امرأة جرة ماء مؤكدة أن ليس بهما جوع ولا تعب ، ولكن الضرب فى هذه الحرة المحرقة ثلاث ساعات من الكسوة الى زاكية ، ثلاث ساعات فى هذه الظهيرة اللاذعة قد قتلهما عطشا

ولم تشأ المحدثة أن تفلت هذه المناسبة دون ان تعظ اولادها وتصف لهم جلال الاخلاق الماضية وجمالها فقطعت قصتها وقالت :

— أرأيتم ؟ هكذا كان الناس : يساعدون الغريب ويواسونه بنفوسهم ، لا كما تصنعون انتم اليوم

— فقلت : ولكن الرجل ؟ هل أكل ماحملوا اليه من طعام ؟

— قالت : كلا ، كان مريضا فلم يأكل شيئا . أما البنت فقد كانت ساغبة لاغبة ، فأكلت وشربت ثم نامت مكانها من التعب .

---

(١) الحرة ارض ذات حجارة سوداء . بركانية وقرية زاكية الحورانية التي تحدث عنها فى وسط حرة

حملوا الرجل وابنته الى دار الشيخ ، وكان المرض والضعف قد بلغا بالرجل . فارادوه على الطعام ليشتد أزره فأبى . فعرضوا عليه الدواء الذى يتخذونه لمثل علته فرفض ايضا : — لااريد . لااريد شيئا . لاتفكروا فى . انى ميت . قد انتهيت ، ولكنى موصيكم بهذه الطفلة فهى أمانة فى اعناقكم . . لقد غالبت الموت حتى بلغت بها هذه القرية ، قد حملتها فوق ما يطيقه انسان ، لقد جابت معى البلاد كلها من القسطنطينية إلى هنا ، من القسطنطينية الى زاكية فى ست سنين لم نذق فيها ليلة هناء واحدة .

وأطبق عينيه وفمه . وسكت ، وحاولوا ان يفهموا منه شيئا آخر فلم ينبس . واعترته حال غريبة لم أكن أعرف يومئذ ما هى ، ولكنى فهمت منها ، ومن صوت الرجل الذى خرج خافتا رهيبا كأنه خارج من قبر ، ومن وجهه الشاحب النحيف ، وأنفاسه المتقطعة ولهجته الغريبة ، إنه ليس كمن أرى من رجال ، وإن له لشأنا . . ولكنى لم أستطع البقاء أكثر مما بقيت فعدت الى الدار كيلا تضربنى أمى

وفى الصباح سمعت أن الغريب قد مات — مات ليلة قدومه كأنما قد طوف فى بلاد الله هذا التطواف لينام الى الابد على هذه الحجارة السوداء ، ويستمتع بحلم طويل إثر رحلة شاقة !

***

بقيت الطفلة وحيدة فكفلتها زوجة شتيوى ، وكان شتيوى من شيوخ البدو المقيمين فى هذا البلد . وكان غنيا موسراً ، ولكن زوجه عاقر لم تأته بولد طيب صالح يعلمه الفروسية والرمى ، ويستخلفه فى أهله وماله ، على الرغم من أنها راجعت الاطباء والمنجمين والمشايخ والمشعوذين فى دمشق وفى قطنا ، واصطنعت عشرات الادوية والتمائم فلم ينفعها ذلك كله فتيلا . فيئست . . . ولما كفلوا هذه الطفلة تلقتها بسرور . واتخذتها ابنة لها . . .

كانت الطفلة فى التاسعة من عمرها يوم مات ابوها . فلم تلبث فى بيت شتيوى سنين حتى نمت واكتملت ، وغدت أجمل فتاة فى البلد ، ولكنها كانت غريبة عن نساء البلدة فهى شقراء ، لها عينان زرقاوان ، وجسم متناسق جميل ، كانما هى احدى الفتيات اليونانيات اللاتى عرفناهن فى حى المهاجرين فى دمشق

— بل كأنما هى ديان ، غادية الى الصيد !

— وكانت تجول كل يوم فى هذه الصخور ، لا كما يجول نساء دمشق اذ يمشين متباطئات متكاسلات نصف ساعة فى طريق المنشية ، أو فى شارع بغداد ، ثم يعدن فى عربة ، بل كما يجول الراعى النشيط ساعتين او ثلاثا تقفز فيها كما يقفز الغزال الشارد ، كأن لها خفته وملاحته

وكانت غريبة فى طباعها وأخلاقها ، كما كانت غريبة فى شكلها وصورتها ، فلما اكتملت انوثتها وتفتحت زهرة الحب فى قلبها ، لم تجد لها قاطفا ، إذ لم يكن فى الناس من يجرؤ على الزواج بفتاة لقيطة لاتعرف اسرتها ولايعلم نسبها ، فضلا عن انها تقرأ ، وانها قد قرأت كل ما كان مع أبيها من كتب وحفظت ما فيها من كفر وترهات

***

كانت الفتاة تعود الى البيت حينما تعود الشمس الى خدرها ، فتملأ البيت طربا ومرحا ، فلما كان ذلك اليوم الذى قلب عليها حياتها ، لم تعد الا فى ظلمة الليل ، وكانت تهبط الصخر بحذر تحمل شيئا ثقيلا حتى بلغت الدار فولجتها وقد انهكها التعب ، ولكنها كانت هاشة باشة ككل فتاة فى السابعة عشرة من عمرها ، فوضعت حملها برفق على احدى الارائك ، وقالت لأمها فى سذاجة :

— هاك زوجى ! وجدته طريحاً عند الصخرة الشرقية . وقد أغمى عليه من هذا الجرح ، ستعنين به أجمل عناية حتى اذا ماشفى تزوج بى .. أليس كذلك ؟

فهزت المرأة رأسها وقد حدثها قلبها وقلب المرأة (ترمومتر) الحياة — بكارثة ، ولكنها لم تجد مجالا للقول فانصرفت الى العناية بالجريح . وكان ضابطاً ألمانيا جميلا قد خرقت صخرة قذاله وشجته شجاً عميقا . ودعت المرأة زوجها فشرع يعالجه بالبلسم والحراقة وماليها من الطرق البدوية التى قلما تخطىء فى مثل هذه الحالات . والفتاة متعلقة به تسأله عن مبلغ الأمل فى شفائه ، وترجوه ألا يدخر وسعاً فى معالجته ، لانها تود شفاءه ليكون لها زوجاً ، ولما تمت العملية ألقت المريض على سريرها . والحت على الرجل وزوجه أن يدعا خدمته لها . ففعلا

جثت أمام السرير كما يجثو العابد فى صلاته . وراحت تتأمل وجهه وعينيه المغمضتين فى ذهول عميق ونشوة غريبة . وتجرؤ أحيانا على مس شعره الأشقر المتهدل على العصابة مساً رفيقاً ، كما يمس المرء شيئا يقدسه ويخشاه ثم تقبض يدها فى سرعة ..

— نديدة ! نديدة !

— نعم يابابا

— ألم تنامى بعد ؛ دعى المريض فانه لن يفيق من غيبوبته قبل الصباح

— نعم . سأنام

ولكنها لبثت جاثية أمام السرير

لبث الرجل وزوجه ينصحانها . يحاولان أن ينزعا غرس الحب من قلبها قبل أن يقوى ويشتد ، فكانت تعرض عنهما وتعيد أبداً كلمتها الأولى : هذا هو زوجي

مر على هذه الامسية عشرون يوما لم تفارق فيها الفتاة الضابط ولم تعد تجول كما كانت تجول ولم تعد تفكر في شيء . . . وكان الناس يتساءلون عن صلة هذا الافرنجي الكافر بأسرة شتيوى ، فاذا قيل لهم إنه مريض وإنهم يعالجونه . انصرفوا الى أعمالهم ساخرين .

وصحا الضابط وذكر كيف خرج يتصيد فجره الصيد الى هذه القرية ، وكيف زلت قدمه فوقع من ذروة الصخرة ، وأحس بالدم الحار يسيل على عنقه ، ثم لم يعد يذكر شيئا . . . الا أنه فتح عينيه فوقعتا على عيني فتاة جميلة ، حسبهما في الوهلة الاولى ، عيني زوجته الفاتنتين الزرقاوين ، وأنه وجد نفسه على سرير نظيف محاطا بالعناية والعطف ، وأنه لبث ينظر الى الفتاة في صمت وخشوع وشكران نظرات طويلة ، ثم مد يده الى يدها الرخصة اللينة فاخذها الى فمه ، ليخط عليها أول كلمة من القصيدة التي تضطرم بها نفسه ، قصيدة الشكر للجميل ، والشوق للجمال ، وأن الفتاة لازمته بعد ذلك ملازمة الظل ، وحرصت على سروره وهنائه ، فكانت تحدثه أطيب الاحاديث البدوية وألذها ، فكان يجيبها بعناء ومشقة ، لضيق العربية عليه ، ويعجزه أن يأتي بالكلمة المناسبة فيأتي بها بالالمانية فتفهمها الفتاة وهي لا تعرف من الالمانية كلمة ، كأنما هي في قلبه ، أو كأنما هو — وذلك اصح — في قلبها ، ولكن شيئا من ذلك لم يتجاوز في رأيه صلة المجاملة والمتعة بالجمال

أما الفتاة المتفتحة للحب فقد كانت ترى في هذا كله علامة على الحب الصادق الذي كانت تتوق اليه وتحلم به . وقد ابتغى لها الضابط شتى المعاذير في هذا الموقف حينما أخبره به الشيخ شتيوى ، وأعطاها كل الحق في أن تحب . أما أن تصر على اتخاذه زوجاً لها وهو الرجل الألماني المتزوج ، وهو الموظف الذي لم يبق من أجازته غير أسبوعين . فأمر مضحك لم يستطع برغم احترامه لشتيوى وشكره إياه إلا أن يتلقاه بقهقهة طويلة مجلجلة .

— ما هي جريرتي اذا هي قد أحبتني ؟ اني لم أشجعها على هذا الحب . ولم أقطع لها أي وعد بالزواج . وما وقفت منها الا موقف الرجل المهذب الشاكر . ففسرت ذلك بأنه الحب

ولكنه تألم إذ يحمل إلى الفتاة التي حمات اليه البرء والحب الألم واليأس . وجرب الاعراض والاساءة اليها علها تنساه . وتنقطع هذه الصلة بينهما من غير أن تخلف وراءها قلبا داميا . فلم يفده ذلك شيئا ، وازداد حب الفتاة اضطراما . فأزمع السفر مضطراً وأزف الوداع فتعلقت به وأبت أن تفارقه . وأعرضت عن كل نصيحة ، ولم تنفع فيها موعظة ولا زجر . فاقتربت زوجة شتيوى من الضابط وهمست في أذنه كلاما فعاد طلقا مستبشراً . فأمسك بيدي الفتاة يحنو وقال لها :

— سأعود لأ تزوجك . فدعيني أذهب لأعد عـدة الزواج . سأعود . . . فتركته الفتاة مصدقة ووقفت على الصخرة التي لقيته عندها تبكي وتشير اليه بمنديلها حتى اختفى . فعادت إلى البيت تقول لأمها :

لقد وعدني أن سيعود . سيتزوجني !

— نعم سيعود !

*
* *

مر شهران تصرم فيهما صبر الفتاة . فكانت تمضي نهارها حيال خريطة قديمة كانت بين كتب أبيها تنظر فيها . وتحاول أن تعرف أين تقع ألمانيا من وجه الأرض ، وكم هي المسافة اليها . ولكنها لم تكن تعرف شيئا عن البحار ولا عن الوسائط النقلية . فكانت تصوراتها لا تعدو أن تكون أحلاما مبهمة

وكانت تبكي بكاء خافتا وهي مكبة على الخريطة ، وتستعيد في نفسها صورة الضابط وصوته وحركاته . ثم تعاود البكاء والنشيج ، أما هو فقد نسيها . ولم يذكر اسمها الا مرة واحدة . في كتاب أخرجه عن الشرق .

*
* *

وقطعت المرأة حديثها لأن الباب قد انفرج عن عجوز منحنية على عصا طويلة تصرخ صراخا مزعجا . وتهذي بكلمات مبهمة . ووراءها سرب من الصبيان يقرعون بأيديهم الحجارة ويصيحون

مج . . مج . . مجنونة ! مج . . مج . . مجنونة !

فلما نجت منهم ، القت بنفسها على عتبة الباب ، وجلست تبكي بكاء أليما ...

فهمست في أذن ربة الدار :

— من هذه المجنونة ؟

— إنها صاحبة القصة ياسيدى . . !

دمشق — علي الطنطاوي

٢ - شهر بالغردقة

للاستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة الامتحانات والسجلات بوزارة المعارف

مدير المحطة الدكتور سرسلاند كما أسلفنا وهو عالم بيولوجى له خبرة حسنة بحياة المرجان وأجناسه وتطوراته ، وهو فى العقد السادس من عمره ، طويل القامة ، صحيح الجسم ، وسيم الوجه ، لطيف المعشر ، اذا تكلم رفع صوته لثقل فى سمعه ، وهو جم النشاط تجده فى المعمل ، ثم تراه فى المكتب ، ثم تلقاه فى الطريق ، ثم تعثر عليه فى الجراج ، ثم تبصره فى البحر ، ثم تعلم أنه فى سركر الشركة ينظم وسائل نقل الماء مثلا ، وهكذا فهو حركة دائمة تلقاه فى كل مكان . ولعل من أحسن فضائل الرجل حبه الشديد للمحطة ورضاه التام عن حالة العزلة التى يعيش فيها

كان الجو طوال المدة التى مكثناها بالغردقة معتدلا ، فلم تعد درجة الحرارة فى معظم الايام درجة الثلاثين على الترمومتر المئوى مع جفاف شديد فى الهواء قل أن تجده على شواطىء البحار ، ونسيم البحر دائم الانطلاق ، وأحيانا يشتد حتى لينقلب فى بعض الليالى الى ريح عاصفة ، تثير الامواج وتهز البيوت وتقلق المضاجع

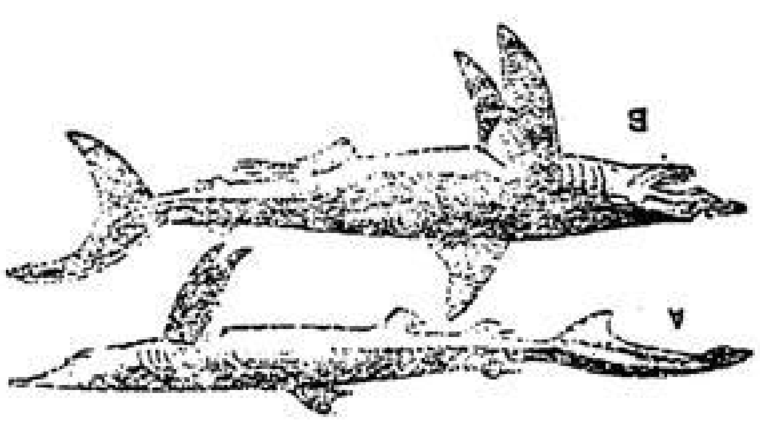
وماء البحر بالقرب من الشاطىء دافىء لايجد فيه الكثيرون ممن ألفوا الاستحمام فى الشواطىء المصرية الشمالية متعة البحر ولذته ، كما أن السباحة فيه أحيانا غير مأمونة العاقبة لوجود سمك القرش بكثرة فى هذه الجهات

كان الباعث للرحلة عمل مباحث واسعة النطاق على الطفيليات التى تعيش فى اسماك البحر الاحمر ، وقد استحضر معه الدكتور عبد الخالق بك جميع مايلزم لهذا البحث من أجهزة علمية ومواد كيميائية : ملأت صندوقين كبيرين من الخشب ؛ وعقب وصولنا وضع الدكتور الخطط الكفيلة بتحقيق الغاية على الوجه الذى أراده ، فكان صيادو المحطة يخرجون كل يوم للصيد فى قواربهم الصغيرة (الهورى) ويعودون بها عند بزوغ الشمس موقرة بأنواع السمك المختلفة بين صغير وكبير ، وعند وصولها يستقبلها الدكتور ومساعدوه ويشرعون فى الحال فى ترتيبها [illegible] ثم تشق بطونها وتفحص محتوياتها بالمجهر بالعناية والتدقيق وطول الأناة التى يستلزمها البحث العلمى

وكانت هذه العمليات المتشعبة وما تستلزمه من كتابة اسماء وتدوين مشاهدات ، وضبط اسماء الانواع وقيد الصفات ورسم الاشكال وحفظ العينات والنماذج ، تستغرق اليوم كله ، واحيانا شطرا من الليل ، ومع تشابه هذا العمل وتكراره اليوم بعد اليوم فانه لم يزد الدكتور الا إمعانا فى البحث ، وتوافرا عليه من غير كلل أو ملل ؛ فيذهب الى معمله مع بزوغ الشمس ، ولا يفارقه الا اذا خيم الظلام ، وكثيرا ما كان يعود اليه بعد العشاء ، مستضيئا بنور شمعة أو مصباح ضئيل لأكمال بحث النهار : همة عالية تدلك على ان الشهرة العلمية لاتأتى الناس عفوا ، بل هى غالبا نتيجة الكد والمثابرة والتدقيق والاستقصاء .

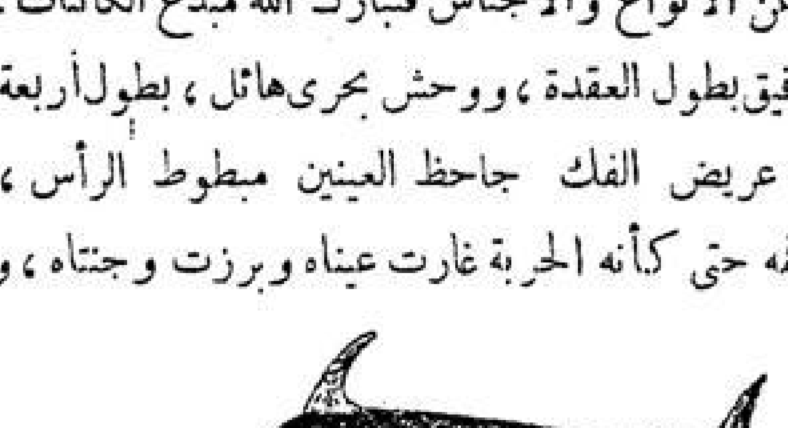
(٣) أسماك البحر الاحمر

اشتهر البحر الأحمر منذ القديم بالغنى فى انواع للسمك واجناسه ومقاديره ، فهناك فى بطن الماء ثروة طائلة هائلة لمن يسعده الحظ فيكشف عن وسيلة للتغلب على شعب المرجان التى تحول حتى الآن دون استغلال هذا المورد الخصب استغلالا واسع النطاق



سمك القرش

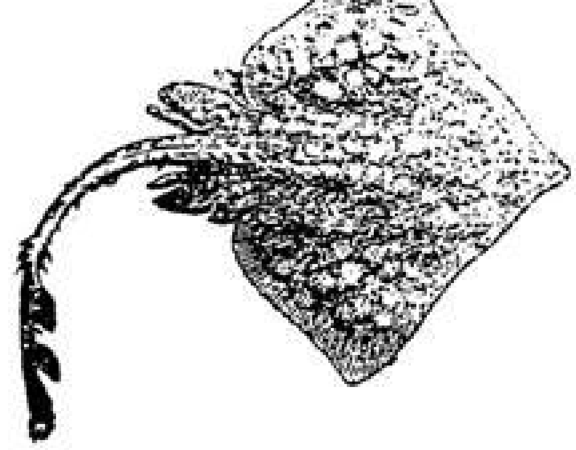
اما عن الانواع والاجناس فتبارك الله مبدع الكائنات : سمك صغير رقيق بطول العقدة ، ووحش بحرى هائل ، بطول أربعة أمتار ، وسمك عريض الفك جاحظ العينين مبطوط الرأس ، وآخر استطال فمه حتى كأنه الحربة غارت عيناه وبرزت وجنتاه ، وسمك



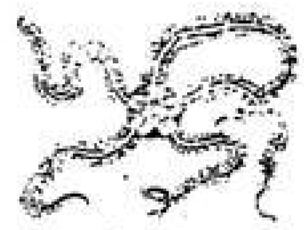
السمك أبو حربة

ناصع البياض مع تناسب فى الوجه ورشاقة فى القد حتى كأنه شركسية من أهل الشمال ؛ وآخر أسود الجلد غليظ الوجه ضائع

الشكل حتى كأنه زنجية من خط الاستواء ، وسمك مقوس الظهر مدكوك الرأس حتى كأنه القزم ، وسمك ممشوق القامة طويل الذيل مطوط الرأس حتى كأنه العملاق ، وسمك رفيع طويل كأنه الثعبان وآخر ممدود الرأس بجنح الزعانف كأنه الطير ، وسمك كالصندوق



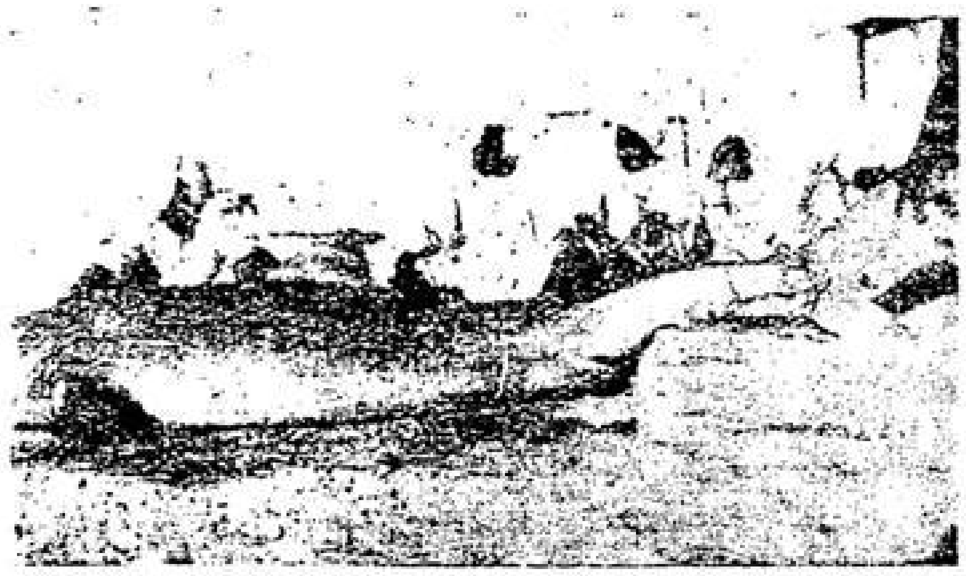
سمك الراي



فى مياه البحر الاحمر : ابو الكرابيج (النجمه)

شكلا وهيئة ، وسمك على شكل الفرس القافز ، وآخر على شكل قطعة من الصخر فى اللون وعدم الانتظام ، وسمك احمر ذهبي وأصفر واخضر وازرق واسمر ، وسمك مخطط بخطوط سوداء وبيضاء أو سوداء وصفراء ، أو حمراء وزرقاء ، أو جمعت هذه الالوان بالطول أو بالعرض ، وسمك هادىء وديع ، وآخر هائج عنيف ، وسمك سام يلسع بأبرة مثبتة فى جسمه أو على ظهره أو فى طرف ذنبه كأنه العقرب ، وبعض هذه الانواع مسلح بزوج من هذه الابر واحدة على كل جانب ، وسمك يغطى جسمه زغب صغير سام من مادة صلبة كأنه الشوك وهكذا ، وقد عددنا من هـــذه الاشكال مائة وخمسين نوعاً وهو قليل من كثير يقطن الابعاد والاعماق ، ولهذه الانواع اسماء دارجة يعرفها الصيادون ، وقلما يخطئون فى التمييز بينها مع وجود تشابه كبير بين بعض هذه الانواع . وهاك اسماء بعض الاسماك التى تعيش فى منطقة الغردقه بالقرب من الشاطىء نذكرها على سبيل المثال لا لغرابتها فحسب بل لدلالتها : الحجم والجلخ والبشراكة والمعجبية وشك الزور والقضبة والدراك والبومة والسيبيا

ومن العجيب أن أكثر هذه الانواع تفقد الوانها البراقة الجميلة بعد اخراجها من الماء بقليل وتصطبغ بلون أسمر قاتم — وسمك القرش أكبر حيوانات المنطقة وأشدها بأسا ، وهو كبير الرأس عظيم الجسم واسع الفم حاد الاسنان تهلع من رؤيته الاسماك ويخافه الصيادون : ومنه نوع يهاجم الانسان ويحاول اختطافه ، وربما ينهش منه ساقا أو ذراعا — ومن الغريب أن سمكة صغيرة بطول القدم تعيش طفيلية عليه فيحملها على رأسه لاصقة بجلده تتغذى من فضلات طعامه وهو بذلك راض مسرور



أمام المعامل : سمك القرش وقد جلس خلفه صيادوه

(٤) فى حقول المرجاد

يفاخر الدكتور كرسلاند بحديقته المرجانية ويشيد بذكرها ويشوقك لزيارتها فكنت أصغى لوصفه الشعرى وأنا بين الشك واليقين إلى أن رأيت حديقته بل بساتينه بعينى فقلت فى نفسى تالله لقد قصر الرجل ، فحديقته اجمل وابدع مما وصف :

ركبنا « لنش » المحطة صباح أحد الايام فخرج بنا الى عرض البحر على مسافة اربعة كيلومترات ، ثم وقف بنا أمام جزر متتابعة متلاصقة بينها فجوات كأنها بحيرات ، ويغطى سطح الجزر ماء البحر على عمق قليل ، فنزلنا من اللنش واخذنا نخطو فوقها ونحن غائصون فى الماء الى مافوق الركب ، وبعد سير شاق فوق العشب لم يتجاوز بضع دقائق وصلنا الى شاطىء غاطس تتكسر فوق حوافيه أمواج البحر بشكل بهيج يسر الخاطر ، وبعد خطوات اخرى اشرفنا على جرف مواجه للامواج يغوص فى الماء بانحدار ، ولم تكد تقع عيوننا على سطح المنحدر حتى ارسلنا صيحات الدهش والتعجب : منظر ملك علينا المشاعر ، فقاع البحر قد كسته لمسافة كبيرة خمائل كثيفة ذات الوان زاهية جميلة بين حمراء وخضراء وزرقاء وصفراء وسمراء ، وقد امتدت على الجوانب وفوق المرتفعات وبين الصدوع على اشكال متباينة متآلفة تخالها خمائل الازهار فى بستان الامير وقت الربيع

(يتبع) الدمرداش محمد

النقد

كتاب النثر الفنى فى القرن الرابع

تأليف الدكتور زكى مبارك

للاستاذ احمد امين

ان كان أخى « المازنى » قد استطاع بلباقته أن يكتب عن هذا الكتاب مقدمة بلا موضوع ، فلاحاول فى مقالى هذا - للموازنة - أن أكتب عنه موضوعا بلا مقدمة ، وان هو وقف الكلام عند محاولته ان يأخذ الكتاب من المجلد ، فلأصل ما قطع وأكتب من حين تسلمت الكتاب من المجلد

***

أول ما يطالعك من الكتاب شكله وحجمه ، فيعجبك شكله ، ويبهرك حجمه ، وما ظنك بكتاب طبع فى دار الكتب على ورق جميل فى جزأين يقعان فى نحو ثمانمائة صفحة من القطع الكبير ؟

ثم المقدمة ، وفى الحق أنها لم تعجبنى كثيرا ، فقد تحدث المؤلف فيها عن نفسه طويلا « فالكتاب اول كتاب من نوعه » ، « والكتاب أول منارة أقيمت لهداية السارين فى غيابات ذلك العهد السحيق » ، « والمؤلف أول من كشف النقاب عن نشأة النثر الفنى فى اللغة العربية وقهر المستشرقين ومن لف لفهم » ، وهكذا يمضى المؤلف فى تعداد أولياته وهى طريقة لا أستحسنها ولا أستسيغها ، وأظن ان كثيرا من القراء لا يستحسنونها كذلك ولا يستسيغونها ، فخير للمؤلف ان يتوارى وراء ما كتب ، ويدع الناس يحكمون له أو عليه لا أن يتقدم هو بالحكم لنفسه ، ويقطع الطريق على القراء والنقاد ، ويعجبنى فى ذلك ما نقله المؤلف نفسه فى ثنايا الكتاب عن أبى هلال قال « ومن صفات الشعر التى يختص بها دون غيره أن الانسان اذا أراد مديح نفسه فأنشأ رسالة فى ذلك أو عمل خطبة فيه جاء فى غاية القباحة ، وان عمل فى ذلك أبياتا من الشعر احتمل » نعم ان المؤلف لم يرتض هذا الرأى ، وأباح ذلك اذا جرى مجرى الدفاع والمفاخرة ، ولكن الكتاب ليس موضع دفاع ولا مفاخرة ، وانما هو موضع تقرير لحقائق يراها ويعرضها على القراء ، ثم هم قد يخالفونه فيها وقد يوافقون ، وقد يقدرونها تقديرا عاليا وقد لا يقدرونها . وعلى كل حال فلهم القول الفصل لا للمؤلف ، فمن من المؤلفين لم يعجبه ما ألف ولم يرقه ما كتب ، وانما كتب الخلود لما قدره الناس لا ما قدره المؤلف - شعر المؤلف بذلك وأراد أن يعتذر عنه ، بأنها ثورة نفسية ، أنطقه بها ما رآه فى زمانه من غدر وعقوق ، ولكن هل هذا القول يداوى الجرح ويبرىء المرض ؟ أخشى أن يحمل الناس على الالحاح فى العقوق والامعان فى الغدر ، لأن النفس مولعة أبدا بكراهية الحديث عن النفس ، ومن طبيعتها أن يحملها امعان المادح فى مدح نفسه على امعانها فى التنكر له وجحد فضله ، بل أخشى أن يكون هذا بعينه هو السبب فى الغدر والعقوق ، فقد اعتادت النفوس أن تقابل الافراط بالافراط والغلو بالغلو .

ان يكن المؤلف قد خانه التوفيق فى المقدمة فقد صحبه الى درجة كبيرة فى الكتاب ، فهو نتيجة مجهود صادق وبحث طويل شاق ، أتى فيه بمقدمة فى الموازنة بين الشعر والنثر ، ثم تطور النثر من عصر النبوة الى القرن الرابع ، وتكلم فى نشأة النثر الفنى ، والسجع وأطواره ، وخصائص النثر فى ذلك العصر وأنواعه ، ثم أشهر الكتاب فى كل نوع ونماذج من كتابتهم ، وتحليل لآثارهم .

وطريقة بحثه فى كل مباحثه سليمة ، جارية على الاسلوب الحديث فى العرض والنقد واستقصاء ما فى الوسع فى الرجوع الى المصادر ومقارنة بعضها ببعض ، والشجاعة فى ابداء الرأى ، والقارىء قد يخالفه فى بعض ما قال ويرى رأيا غير ما ذهب اليه ، ولكنه على كل حال يقدر ما بذل المؤلف فى تكوين رأيه وتأليف حججه . ثم هو قد وفق الى آراء جديدة له فضل الجد فى استكشافها ولفت النظر اليها ، وآراء صقلها وعرضها فى حلة جديدة . وانى ان احترمت الكتاب من الناحية العلمية والعقلية ، فأنى ناقده من جهة الذوق ، وذلك أن الدكتور زكى مبارك كلما رأيته أو استحضرت صورته ، أشع على معنى غريبا يصعب تصويره ، وربما كان أقرب تصوير له رجل

يمسك بيسراه كتابا فيما فيه علم غزير ، وأدب وفير ، وبيده اليمنى عصا أشهرها ، ثم هو يطلع الناس على ما فى كتابه من طرف فمن هم أن يفتح فاه بنقد أو مخالفة قنعه بما فى يمناه ، بل قد يؤمن الناظر بما يعرض عليه ، فلا يعجبه الاستسلام وهذا الايمان فلا يزال يهيجه حتى يبدأ بالمخالفة أو يظن أنه سيبدأ بالمخالفة فيشهر عليه العصا ، بل قد يكون السالك على علم بذلك فيتنحى عن كتابه وعن عصاه ويتنحى ناحية أخرى فيسرع الدكتور ليسد عليه المسلك ويأبى أن يفسح له الطريق حتى ينظر فى الكتاب ، فاذا نظر فالنتيجة محتمة ، واذا لم ينظر فالنتيجة هى هى أيضا ، وهى العصا

هذا ما كان يشعه على الدكتور زكى ، فلما قرأت كتابه النثر الفنى تأكد هذا المعنى وتجسم ، وما أدرى أقرأت الكتاب بهذه العين التى تكونت ، أو قرأته محايدا وقراءته زادت هذا المعنى وضوحا

تجلى هذا المعنى فى أنه يعرض آراء قيمة وافكارا عنى بدرسها ثم اذا به يطفر فيحتك بمؤلف أو كاتب فلا ينقده نقد عالم لعالم ولكن نقد مصارع لعالم . إن شئت فانظر اليه وهو يعرض لرأى الاستاذ مرسيه ـ أستاذه وشيخ المستشرقين فى فرنسا ـ اذ يقول « وهناك رأى مثقل بأوزار الخطأ والضلال وهو رأى المسيو مرسيه ومن شايعه » ثم تقرأ رأى الاستاذ مرسيه ومن شايعه ، فاذا هو رأى جدير بالاحترام باعث على التفكير ، صالح لحسن التقدير ، وهبه كان رأيا سخيفا وفكرا تافها ، وقولا لا يؤبه له ، فليست هذه لغة العلماء فى النقد ، ولا طريقتهم فى الرد .

نعم قد يكون نقدهم فى بعض الأحيان لاذعا ، ولكنه ـ على كل حال ـ يصاغ بلباقة ، وقد جرى المؤلف على هذا السنن مع الاستاذ مرسيه وغيره مما لا شأن لنا بتفصيله ، ومما يزيد الأمر عجبا أنه شديد قاس فى بعض النقد ـ كما رأيت ـ ولطيف لبق فى البعض الآخر ، ولا ندرى من الناحية العلمية لم كان لطيفا لبقا هنا ، وقاسيا صارما هناك ، فقد قلبنا الأمر على وجوهه فلم نجد ذلك يرجع الى قوة رأى المخالف وضعفه ، ولا قوة الحجة وضعفها ، إلا أن يكون لشىء غير الرأى وغير العلم وهذا ما لا أدريه .

كذلك آخذ عليه أشياء لم تنفق والذوق قرأتها فضربت أذنى وانقبض منها خاطرى . مثال ذلك ما جاء فى صفحة ٩ و ١٣ و ذيل ص ٦٠ و ٦١ و ذيل ٦٥ الخ

ثم هندسة الكتاب لم تخل من نقد ولم يشع فيه التناسق ، فحجرة صغيرة وحجرة كبيرة ، بل وحجرة لم تكن كان يجب ان تكون ، وباب كبير وباب صغير ، وقد يكون هذا معقولا اذا دعاه الحال واقتضاه المقام ، ولكن لم يكن كذلك فى هذا الموقف ، فقد تحدث مثلا عن المقامات ونشأتها فأفاض وأنفق عن سعة ، ولم يحدثنا كثيرا عن رسائل اخوان الصفا ونشأتها . قد يتبادر الى الذهن أنه عنى بالمقامات لأنها ألصق بالأدب ، ولم يعن برسالة إخوان الصفا لأنها أدخل فى الفلسفة والعلم ، ولكنه فى الكتاب تعرض للاسلوب العلمى كما تعرض للاسلوب الأدبى . على ان فى رسائل إخوان الصفا نواحى أدبية عديدة أقربها المؤلف فاقتبس منها رسالة الانسان والحيوان ، وقد اعتذر عن ذلك بأن الباحثين أطالوا فيها القول قديما وحديثا ، وهو عذر لا نوافقه عليه بحال ، فمجال القول فى اخوان الصفا ذو سعة . والى الآن لم تبحث الرسائل بحثا وافيا ، ولم يقل فيها ما يشفى النفس ويثلج الصدر .

وفيما عدا ذلك فالكتاب قيم ، يقف القارىء على أشياء كانت دفينة ، وآراء نظمت كانت شتيتة ، ويلفت نظر الشباب الى جمال فى الأدب العربى كان قد عفى عليه الزمان ، ويعبر عن ذلك كله بلغة العصر فيقربه من نفوسهم ، ويحببه الى أذواقهم ، ويفتح أبوابا لبحث العلماء وتفكيرهم فله على ذلك الشكر .

المجمع المصرى للثقافة العلمية

المجمع المصرى جماعة من بعض خيرة أهل العلم غرضهم نشر الثقافة العلمية باللغة العربية فى الشعب المصرى . وهو يحيى من أجل هذا أسبوعا فى كل عام بالمحاضرات العامة يحضرها كل راغب بلا دعوة . وسيحيى أسبوع سنته الخامسة بمحاضرة واحدة تلقى فى الساعة السادسة ابتداء من يوم الجمعة ٦ أبريل بدار جمعية الحشرات الملكية بشارع الملكة نزلى (عند تقاطعه بشارع فؤاد) تبعا للبرنامج الآتى :ـــ

المحاضرة الأولى : يوم الجمعه : وتبدأ بكلمة الرئيس الاسبق حضرة صاحب العزة أحمد محمد حسنين بك ثم يعقبها خطبة الرئيس الحاضر حضرة صاحب العزة حسين سرى بك وكيل وزارة الاشغال وموضوعها فى « الرى »

المحاضرة الثانية : يوم السبت : للدكتور أحمد زكى استاذ الكيمياء ووكيل كلية العلوم فى « الاحجار الكريمة »

المحاضرة الثالثة : يوم الاحد : للدكتور محمد سعيد نبيه فى « داء الكلب »

ثم تعطل المحاضرات يوم الاثنين من أجل عيد شم النسيم وتستأنف بعد ذلك

شـــهر زاد

رواية للاستاذ توفيق الحكيم

كلمة تحليلية بقلم : عبد الرحمن صدقى

هى تحفة فنية أخرى للاستاذ الحكيم . وهى أدق فى ذوقها الفنى وأرق ، وهى أرهف فى الحس وألطف ، وجـــوها الشرقى أمتع منظراً وأوقع سحراً ، وروحها الصوفى أعرق تأصلا وأعمق سراً .

ونحن نعرف الأميرة شهر زاد ، تتمثل فيها عبقرية القصص وروح السمر ، ونتمثلها بأحاديثها المشوقة المتنوعة الأفانين ، وحكاياتها الممتعة التى لا ينضب لها معين ، بين يدى الملك الأسيوى شهريار وقد تحجر قلبه وغلظ طبعه ، تنتقل به ليلة بعد ليلة مأخوذاً مدهوشا من قطر الى قطر فى أجواء شتى وآفاق سحيقة ، من أنحاء فارس ، الى بلاد الصين أو الهند العجيبة ، الى وادى مصر الخصيب ، بين أجناس البشر المختلفة الألوان ، وبين طبقات المجتمع ونمـاذج الافراد على تفاوت الطبائع والدرجات ، من ملوك ومماليك ، وسراة وصعاليك ، وتجار وحمالين ، وصاغة وصيادين ، ومقاحيم يجوبون القفار ويركبون أهوال البحار ، وفوق ذلك بين عناصر طبيعية وغير طبيعية ، أنسية وجنية .. رحلة كقصيدة « الأوديسة » شائقة طويلة ، طافها الملك شهريار وهو فى المقصورة مضطجع يصغى الى شهر زاد فى كل مساء فى ألف ليلة وليلة .

هـذه الرحلة المعهودة للملك شهريار ، لم يعرض لها مؤلفنا العصرى . وإنما خلص منها الى رحلة باطنة للرجل شهريار ، هى رحلة نفس تحركت فجازت أطواراً بعد أطوار

فلقد كان شهريار عبد الجسد يبنى كل ليلة بعذراء يستمتع بها وفى الصباح يقتلها ، وكذلك كان ليلة استقبل شهر زاد يشتهى منها المتعة بالجسد الغض . حتى اذا سمعها تحدثه حديثها الساحر الممتع وتفتح له خزائن القصص والخيال والشعر ، تفتحت مغاليق قلبـه الموصـد وتحرك جامده وارتجفت نياطه ، فاذا هو يحبها وإذا بهذا الجسدانى الشهوان يحبها حب القلب والوجدان . غير أن نار العاطفة بدورها لم تلبث مشبوبة طويلا حتى تصفت الى نور هادىء شاحب ، فاذا هو لا يأمن للشعور بل ينشد المعرفة ، واذا به لا يريد لوقفة عند الظواهر والاعراض ، بل الغوص الى الجوهر ولب اللباب ، ولا يريد الاحتباس فى الحدود الضيقة بل الانطلاق ، الى حيث لا حدود ، فهو فكر محض يحلو له التأمل النظرى والتجريد الفلسفى .

وهذه الأطوار النفسية الثلاثة التى اتفقت لشهريار على آناء متفرقة ، يجلوها أيضا المؤلف على مسرح قصته فى آن واحد موزعة على شخوص ثلاثة : فهذا العبد أسود اللون وضيع الأصل قبيح الصورة رمز للشهوة الحيوانية ، تلقاه شهر زاد فى حلك الظلام ، وتلزمه ألا يطرقها إلا خفية مع الليل ، وتستكره معه العلن ، وتحذره من أن يدركه الصباح فيقتل . وهذا الوزير الفتى ، مثال الجمال فى الخلقة والخلق ، يحب شهر زاد كما يحب رجل جميل امرأة جميلة ، فهى معبودته لا عشيقته ، وقد بلغ التسامى بعواطفه منتهاه فلم يعد غير قلب شاعر . وهذا الملك وقد أفادته حكايات شهر زاد خبرة ، وكشفت لبصيرته عن أفق للتأمل بلا حد ، ونقلته كالطفل من طور اللعب بالأشياء أو التعبد لها الى طور التفكير فيها ، فهو اليوم فكر شارد أبداً ينقب عن الكنه ويطلب المجهول :

أما شهر زاد فهى كالطبيعة لا رفيع عندها ولا وضيع ، وهى كالطبيعة تتراءى لهؤلاء الثلاثة فيرى كل فيها مرآة نفسه . فهى عند العبد حس مادى ولذة مشبعة ، وهى عند الوزير مثال أعلى للجمال قلبا وقالبا ، وهى عند الملك سر عميق ينطوى على نواميس خالدة تجرى على مقتضاها حركات الحياة وسكناتها ويتحدى لغزها المعرفة .

ومن عجائب الاتفاق أن هذه المعانى التى اقتضت القصة الرمزية اجتماعها فى شهر زاد ، لها ســـندها المدعم فى الحكاية الأصلية : فشهر زاد الى كونها مثل غيرها من بنات حواء تخضع لمطالب المرأة الجسدية . فانها ابنة وزير ، كريمة المحتد ، كما يدل اسمها نفسه فى الفارسية ، وقد شاء لها طيب أرومتها أن تتقدم طواعية ليتزوج منها الملك الغشوم قاتل زوجاته ، وأن تحمل مختارة جيدها الغض عرضة لسيف جـــلاده ، مفادية بحياتها على ضعف الأمل انقاذاً للعذارى من هـذا الحيف الراصد لهن . ثم هى لا محالة بطبيعة التربية فى القصور ذات ثقافة عالية ، وحذق لفنون الأدب والشعر ، وعلم بالتواريخ ومضارب الأمثال والعبر . فليس هنالك تجوز معتسف فى تصويرها جامعة للجسد المنعم النضير والقلب الفياض بالشعور والفكر الواعى المحكم بالتدبير .

ولقد احتاط المؤلف لرموزه هذه من أن تظهر مجرد رموز متحركة تشخص لما وضعت له فى خطى آلية وعزيمة صماء حديدية :

فأضفى عليها مخايل الأحياء من تردد وتشكك ، ونوبات ضعف وانتكاس ، لما هو مركب فى الطبيعة البشرية من العوامل المتضاربة ، والدواعى المتداخلة ، بحيث اذا صحت الغلبة لأحداها فان المغلوبة لا تنعدم ، بل لها فى النفس بين الفينة والفينة تخبط المقيد ، وانتقاض المضغوط عليه . فترى الوزير وإن كان فى حبه للملكة شهر زاد عذريا ظاهراً يحفظ لصديقه الملك غيبته ، ويرعى حرمته ، ويذكر مودته ، فانه ليضطرب أشد الاضطراب عند خلوتها به ، كما يسوؤه أن تعطف على صديقه وزوجها أيسر العطف ويتجرع المرارة من غيرته الخفية .

كذلك ترى شهريار وقد باشرت الحسيات حواسه حتى مل جوارها ، وتشبعت بالعواطف مشاعره حتى لفظها ومجها ، وتعالى عن كل ما هو حس وشعور ، يعود فى فترة يأس من المعرفة الى شهر زاد ، يسكر عطشه من كأس ثغرها اللؤلؤى ، ويستظل من رمضائه بعناقيد غدائرها المتهدلة ، ويوسد رأسه المتصدع حجرها ، ويريدها على أن تنشده شعراً ، أو تغنيه أغنية ، أو تقص عليه قصة .

وما تبدلت الرموز غيرها من أجل هذا ، وانما هى عوارض من أمارات الضعف البشرى ، ثم تستأنف هذه الرموز البشرية سيرتها المرسومة ، ودورتها المقدورة فى افتنان وروعة

ولقد اختار مؤلفنا للقصة بداية ليس أصلح منها مدخلا للرواية من حيث تهيئة الجو والدلالة على المعنى . فثمت طريق قفر والليل حالك ، والى ناحية منزل منفرد على بابه مصباح مضىء . وفى هذا الموقف يقفك المؤلف على سحر الساحر ، وضعف الجسد ، وسطوة الشهوة باللمسات الاولى من ريشته :

ـ الساحر (يقود جارية الى المنزل) : ماذا يقول لك هذا الغريب الأسود ؟

ـ الجارية : يسألنى عن سر فرح المدينة ، فأجبته هو عيد تقيمه العذارى للملكة شهرزاد

ـ الساحر : وما لفرائصك ترتعد ؟

ـ الجارية (همسا) : لست أدرى !

ـ الساحر : ألم أحذرك أن تقربى هذا العبد الهرم ، فان فى عينيه نظرات الفجرة ؟

ـ الجارية (همسا) . ليس هرماً

ـ الساحر : بم تهمسين كن به مس ؟ هاتى يدك ولندخل . لعلك ارتعت من قبح هذا الرجل ؟

ـ الجارية (همسا) : ليس قبيحا .

(يدخلان المنزل . يظهر العبد يتبع نظراته الجارية . . .)

ـ العبد : ما أجمل هذه العذراء اوما أصلح جسدها مأوى !

ـ صوت (من خلفه) : ماوى ؟ ألشيطان ؟ أم للسيف ؟

ـ العبد (يلتفت) : أهذا أنت ؟

ـ الجلاد (يظهر) : عرفتنى

ثم لا يطول بك الانتظار فى هذا الموقف بسمع من هذه الكلمات المتقطعة المتبادلة حتى تعلم كل ماطرأ على حياة شهريار الذى كنت تعرفه ، من تغير بعيد الأثر ، وما يحيط به اليوم من ملابسات وظروف ، وحتى تتسلم بين أصابعك أطراف خيوط القصة جميعها ، وتتابع فى لذة مشوقة حركات نسجها سداة ولحمة .

وترى كيف يعارض حائك القصة بين شهرزاد وقلب الوزير المتأجج فى منظر ، وبينها وبين عقل الملك السابح فى زرقة أحلامه الصافية فى منظر ، ثم بينها وبين العبد الأسود فى منظر . وهو فى خلال هذه المناظر وما بينها يداول بين هذه الخيوط المختلفة الأصباغ فيخرج لنا منها نسيجا خسروانى الوشى ، ساحر الالوان كقوس الغمام . حتى اذا أزف الختام أبى المؤلف ، الحكيم ، على العبد قتله استرخاصا له وكرامة للمنية أن تكفر عن خسته ، بل ادخر المصرع الفاجع للوزير الذى ضاق الواقع عن قلبه الكبير . أما شهريار فقد ذهب فى سفر بعيد مجهول

ولئن كان المؤلف قد نحا نحو الرمزيين فى قصته ، إلا أنه لم يصنع منها لغزاً مغلقا ولا شبه مغلق ، ولاهان عليه أن يترك رموزها على قرب منالها وقلة تعويصها للقراء . وبخاصة الذين ألفوا نحوها فى التآليف الغربية ليستنبطوها استنباطاً ، بل آثر ان ينص على تفسيرها نصا فى ظاهر سطوره أثناء الحوار ، فلا يدع لأحد دون فهمها على وجهها حجة .

وقد اصطنع صاحبنا مايصطنعه أهل مذهبه من أساليب العرض والكتابة . فشخوصه معروفة النظائر فى الواقع ، ولكنها تبدو لعياننا من مادة أشف من مادتنا ، وتروح وتجىء فى جو أخف مما نعيش فيه . فكأنما هى من عالم الاحلام نحسها بالحس الباطن ، وكأنها لا تتحرك بمحرك فيها من ارادتها بل تحركها قوة مستعلية عليها خارجة عنها ، فهى مسوقة من حيث لا تدرى الى حيث لا تدرى ولا طاقة لها على التوقف والمغالبة . ثم هنالك السحر والكهانة ، والفلتات المنبئة ، وأحاسيس النفس السابقة المؤذنة بوقائع غامضة لاحقة . وهذه جميعا مفرغة فى سياق شعرى يتمشى

فيه النغم ، وتنتظم الموسيقى نسقه من مبدئه الى منتهاه ، ويعتمد على الاشارة المقتضبة والتلبيس ويتجنب البسط والتقرير ، وتتكرر فيه العبارة الواحدة مرات وتكثر فيه الكلمة البارعة والكنايات المحجبة

- شهر زاد : أترى شيئا فى ماء هذا الحوض ؟ أليست عيناى أيضا فى صفاء هذا الماء ؟ أتقرأ فيهما سراً من الاسرار ؟

- شهريار : تبا للصفاء وكل شيء صاف ... ! لشد مايخيفنى هذا الماء الصافى ... ! ويل لمن يغرق فى ماء صاف ... !

- شهر زاد : ويل لك ياشهريار

- شهريار : الصفاء .. ! الصفاء قناعها

- شهر زاد . قناع من ؟

- شهريار : قناعها هى ، هى ، هى ...

- شهر زاد : إنى أخشى عليك يا شهريار

- شهر يار : قناعها منسوج من هذا الصفاء . السماء الصافية ، الاعين الصافية ، الماء الصافى ، الهواء ، الفضاء ، كل ماهو صاف ! مابعد الصفاء ؟؟ إن الحجب الكثيفة لأشف من الصفاء !

فلنسجل إذن لمؤلفنا المسرحى النجاح مرة أخرى مغتبطين ، ولنردد قولنا فيه واثقين ، هذا الفتى فنان حتى اطراف أنامله ،

عبد الرحمن صدقى

المصرى الغريب فى مصر

بقية المنشور على صفحة ٥٢٣

لقدهم أصحاب حافظ أن يخلد واذكر حافظ فلم يوفقوا . وهذا حافظ يخلد ذكر نفسه - ولقد هم المستأثرون بشوقى من رجال السياسة الرسمية أن يخلدوا ذكر شوقى فلم يفلحوا . وهذا شوقى يخلد ذكر نفسه . فهل بين المصريين من يهمون بحماية آثار مختار من الضياع وبتخليد ذكر مختار ، وهل هم ان فعلوا موفقون الى مايريدون ؟ أم هل تدخل السياسة فى أمر مختار فتفسده كما أفسدت أمر حافظ وشوقى ؟ سؤال مؤلم ، ما كان ينبغى أن يلقى ، ولكن انتظار جوابه لن يكون طويلا ، ولعله لايضيف ألما الى ألم ، وحزنا الى حزن .

طه حسين

رسالة الربيع

(بقية المنشور على صفحة ٥٢٤)

على المشرق اذا أقبل النيروز جلسوا للناس جلوسا رسمياعامايتقبلون فيه تهانئهم به وهداياهم . ولما قامت الدولة العباسية أصبح النيروز من أعياد الدولة الرسمية ، وصارله شأن أى شأن ، بل لقد اشتقوا منه عيدا رسميا خاصا بالخلفاء وأسموه « نيروز الخليفة » يقول البيرونى « انه كان يفعل فيه ببغداد من رش الماء وحثو التراب والملاعب ماهو مشهور » وهذا من قبيل النوروز القبطى ، الذى يتحدث عنه المقريزى فى خططه ، ومن قبيل مايفعل فى أعياد المرافع المشهورة فى بعض بلدان اوربا لعهدنا هذا والمعروفة « بالكرنفال »

* * *

وقد افتن شعراء العرب فى وصف الربيع والنيروز وأتوا فى ذلك بالبديع المطرب من الشعر . ولايزال ماقاله الطائيان فى هذا الصدد هو المقدم والمحتذى سواء أكان ذلك من الناحية الفلسفية التى ينتحيها أبو تمام أم من الناحية الفنية التى ينتحيها البحترى

قال ابو تمام يصف الربيع من قصيدة يمدح بها الخليفة المعتصم بالله العباسى : —

أربيعنا فى تسع عشرة حجة حقا لهنك للربيع الأزهر
ما كانت الأيام تسلب بهجة لوأن حسن الروض كان يعمر
أو ماترى الأشياء ان هى غيرت سمجت وحسن الأرض حين تغير
ياصاحبى تقصيا نظريكما تريا وجوه الارض كيف تصور
تريا نهارا مشمسا قد شابه زهر الربى فكأنما هو مقمر
دنيا معاش للورى حتى إذا حل الربيع فانما هى منظر
أضحت تصوغ بطونها لظهورها نورا تكاد له القلوب تنور
من كل زاهرة ترقرق بالندى فكأنها عين اليك تحدر
تبدو ويحجبها الجميم كأنها عذراء تبدو تارة وتخفر
حتى غدت وهداتها ونجادها فئتين فى حلل الربيع تبختر
مصفرة محمرة فكأنها عصب تيمن فى الوغى وتمضر

وقال البحترى مخاطبا الوزير الفتح بن خاقان :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا من الحسن حتى كاد ان يتكلما
وقد نبه النيروز فى غلس الدجى أوائل ورد كن بالامس نوما

يفتقها برد الندى فكأنه ... ينث حديثا كان قبل مكتما
ومن شجر رد الربيع لباسه ... عليه كما نشرت وشيا منمنما
أحل فأبدى للعيون بشاشة ... وكان قذى للعين اذ كان محرما
ورق نسيم الريح حتى حسبته ... يجيء بانفاس الأحبة نعما

وبعد: فان لكل ظاهرة من ظواهر الطبيعة رسالة بليغة تؤديها الى النفوس الشاعرة والفطر السليمة. فليت شعري أية رسالة يحملها الربيع الى ذوى القلوب الواعية منا؟ قابل أيها القارىء بين الشتاء والربيع، بين رقدة الطبيعة ونهضتها، وان شئت، فبين موتها ونشورها. فستجد هذه الدورة على قصر أمدها قد تضمنت حكمة الحياة كلها. والى هذه الحقيقة يشير الربيع فى رسالته الى الناس!

« إن الطبيعة أيها الناس هى الاول والآخر، والأصل والمآل من طياتها تبنون أبدانكم، ومن جمال منظرها وروعة سحرها نمت عواطفكم وألهمتم فنونكم وآدابكم. ومن تصرف سننها واختلاف مقاديرها يسرا وعسرا، وأملا ويأسا وعافية وبأساً ألهمتم عقائدكم ومللكم. ومن دقة هذه السنن واطرادها استنبتم أصول شرائعكم ونظمكم، ومن الصبر لأحكامها تكونت اخلاقكم فان تكن أجسامكم قد ضويت، وعواطفكم قد خبت، وعقائدكم قد وهت، وشرائعكم قد قست، وأخلاقكم قد رثت، فما ذلكم إلا لأنكم عققتم أمكم الحنون، وجفوتم ظئركم الرؤوم. فالى الطبيعة أيها الناس، الى الطبيعة فهى وحدها الكفيلة بازاحة عللكم، وجبر مصابكم. وهى القادرة على أن تنشئكم نشأة أخرى، وتبعثكم خلقا جديدا »

كتاب المفصل

فى تاريخ الأدب العربى

للسنتين الرابعة والخامسة من المدارس الثانوية

أتمت « لجنة التأليف والترجمة والنشر » طبع هذا الكتاب وهو من تأليف لجنة شكلتها وزارة المعارف من الأساتذة احمد الاسكندرى واحمد امين وعلى الجارم وعبد العزيز البشرى واحمد ضيف — ويشمل تاريخ الأدب العربى من العصر الجاهلى الى الآن

ويقع فى جزءين مجلدين فى نحو ستمائة وخمسين صفحة وثمن الجزء الأول منهما عشرة قروش والثانى خمسة عشر قرشا ويطلب من لجنة التأليف ومن المكاتب الشهيرة

اتحـــاد الممثلين

لناقد « الرسالة » الفنى

فى مساء السبت الماضى ابتدأ اتحاد الممثلين، عمله على مسرح الهمبرا برواية « هرنانى » لفكتور هيجو وترجمة الاستاذ خليل مطران، وهى من الروايات الانموذجية التى ترجمت تحت اشراف وزارة المعارف.

وقد ذكرنا فى كلمتنا عن « مديرى الفرق والممثلين » ان اتحادا قويا متينا تألف من بين ممثلى الدرام فى مصر، من الأكفاء الذين شهد لهم الناس بالمقدرة، وتقدموا للجنة تشجيع التمثيل فى وزارة المعارف يعرضون عليها العمل تحت اشرافها وبالشروط التى ترتضيها. وذلك بعد أن فشلت الجهود التى بذلت مع مديرى الفرق، وبعد أن تعنت هؤلاء مع اللجنة وأرادوا أن يملوا عليها شروطهم

ذكرنا هذا وأهبنا باللجنة أن تنتهز الفرصة السانحة فتمد يدها حازمة قوية لهذا الاتحاد وترحب به ولا تضن عليه بالمساعدة المادية التى يستحقها. ويسرنا ان اللجنة كانت عند حسن ظننا بها، وان كلمتنا وجدت منها آذانا صاغية، فقررت ان تمد يدها إلى هذا الاتحاد فى سخاء وكرم، وأن تعينه على العمل فى خطاه الاولى فوضعت تحت تصرفه بضع مئات من الجنيهات يعد بها الوسائل الضرورية ليبدأ العمل على بركة الله.

واتحاد الممثلين اليوم لا ينقصه الرجال الاكفاء ولا المخرج النابه، ولا المال المعين، ولا يعوزه تعضيد الصحافة وتشجيع الكتاب والنقاد، وبالجملة توفرت له كل وسائل العمل التى تكفل النجاح فالاتحاد يحمل عبءاً عظيما ومسؤولية خطيرة أمام هذا البلد وإن الانظار لترعاه من كل مكان تترقب خطاه وتنظر ماذا هو صانع بالامانة التى رضى بحملها وبالثقة التى وضعت فيه وبالامال العريضة التى نيطت به فهو ولا ريب الأمل الأخير فى انعاش المسرح فى مصر وانهاضه الى المستوى الجدير به. وانها لتجربة لها ما بعدها، فان فشلت فليس لنا الا ان ننفض الايدى جميعا من المسرح ونتركه للقدر يبعثه حين يشاء، فى جيل غير هذا الجيل، وما نتحدث عنه بعد اليوم ان تحدثنا الا كما نتحدث عن عزيز قضى، أو حلم تبدد

لو تحقق النجاح لهذه التجربة لسارت القافلة على بركة الله الى غاية الطريق ، ولاستطعنا أن نطالب الوزارة بالمزيد من المعونة . ثم لعلنا ننتهى الى لفت الأنظار الى العناية بالفن عناية مجدية فتكون لنا الفرقة الرسمية ، ويكون لها مسرح خاص مزود بأحدث مبتكرات الاخراج المسرحى ، ويقوم فيه معهد الفن من جديد لتلقى أساليبه ودرس وسائله ، وتنهض بكل هذا ميزانية من آلاف الجنيهات كما هى الحال فى سائر الممالك الحية وتنشط حركة التأليف وتخرج الرواية المصرية الى النور ، وترفع عنا وعن المسرح هذا الخمول الذى نعانيه

بقى أن نقول إن الاتحاد خطا خطوة طيبة بطلبه من الاستاذ زكى طليمات أن يتولى اخراج رواياته وقد لبى الاستاذ طليمات هذه الدعوة بصدر رحب ونفس مطمئنة

إن المسؤولية الكبرى التى يحملها الاتحاد انما يحمل العبء الأكبر فيها فناننا النابه ، وهذه المادة التى بين يديه مادة ثمينة فى يد الصناع الماهر ، ولا شك اننا سنلمس أثر جهوده واضحا ، وسنكون سعداء اذ نتحدث الى قرائنا عن هذا الجديد الذى بتنا نرقبه طويلا .

سينجح فناننا وسيكتب له الفوز ، وستخفق لنجاحه وفوزه قلوب ، بعضها من الفرح وبعضها من الحسد ، قلوب تفرح لانها ترى المسرح ينهض ويشتد عوده بعد أن طال احتضاره وركوده ، وقلوب تتأكل ألما لان هذا النجاح يفوت عليها كثيرا من المآرب الشخصية والمنافع العاجلة او يقضى على ادعاءات كانت تصك بها مسامعنا طوال هذه الاعوام .

محمد على حماد